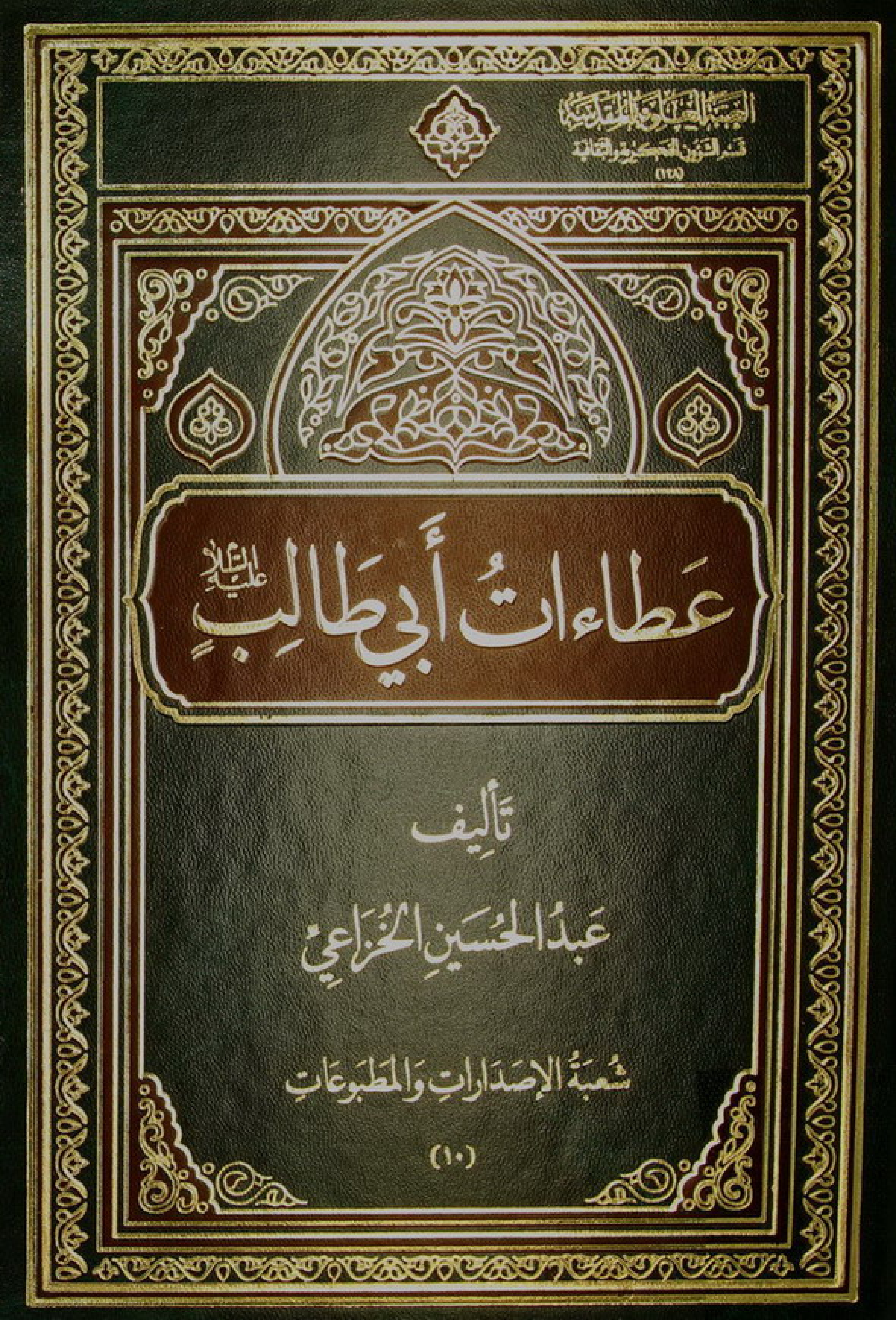

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(١٢٨)
عطاءات أبي طالب عليه السلام
تأليف
عبد الحسين الخزاعي
شعبة الإصدارات والمطبوعات
(١٠)



قسم الشؤون الفكرية والثقافية

(١٢٨)

عطاءات أبي طالب عليه السلام

دراسة عصرية وعرض لأدلة حقيقية مستوحاة من الكتاب والسنّة تُثبت إيمان أبي طالب سلام الله عليه

تأليف

عبدالحسين الخزاعي

شعبة الإصدارات والمطبوعات

(١٠)

عطاءات أبي طالب عليه السلام

□ المؤلف: .... عبدالحسين الخزاعي

□ الناشر: ...... العتبة العلوية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية / شعبة الإصدارات والمطبوعات

□ الإخراج الفني: .... نصير شكر

□ الطبعة: .... الأُولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م ـ النجف الأشرف

مقدمة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويُكافئ مزيده ويمتري العظيم من فضله ونداه وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين مصابيح الدجى ومنار الهدى لاسيما بقية الله في الأرضين مولانا قطب دائرة الإمكان صاحب العصر والزمان أروحنا لتراب مقدمه الفداء.

وبعد..

ففي الوقت الذي يزف فيه قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة هذا الإصدار بحلته هذه إلى القرّاء الكرام بالتزامن مع الذكرى القرنية الرابعة عشرة لاتخاذ أميرالمؤمنين عليه السلام الكوفة عاصمة لحكومته الإلهية، فإننا نمد كف الضراعة إلى المولى تعالى سائلين إياه أن يسدّد يراع زملائنا في شعبة الإصدارات و المطبوعات لتقديم كل ما هو رائع ونافع لخدمة شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله فإنه ما إن انقشعت غيوم الطغيان والدكتاتورية البغيضة عن سماء عراق أهل البيت عليهم السلام

حتى نهدت العتبات المقدسة بقياداتها وإدارتها الجديدة بمهمة النهوض بالمستوى الفكري والثقافي لأبناء الإسلام العظيم مضطلعة بحمل هذا العبء عن طريق نشر وتحقيق المؤلفات التي تصب في خدمة الإنسان والإنسانية بكل بعد من أبعادها.

وقد حرص قسم الشؤون الفكرية والثقافية على نشر كل ما يخص مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال إصداراته المختلفة والمتنوعة خدمة لطلاب العلم والمعرفة، ونشراً للثقافة الإسلامية الأصيلة.

وها نحن أمام كتاب يحمل بعدين أحدهما تاريخي، وثانيهما عقائدي، وبين ذين وذين كانت لمؤلفه الخزاعي صولات وجولات فبورك له فيما قدّم من نصرةٍ لعملاق النصرة وجدّ الأئمة الأطهار أبي طالب عليه السلام حيث الوفاء كل الوفاء والولاء كل الولاء للحقّ المتمثل برسالة النبي صلى الله عليه وآله، فدعاؤنا للمؤلف بالمزيد من التوفيق والنجاح لخدمة الإسلام المحمدي الأصيل.

ومن الله نستمدّ العون وهو حسبنا ونعم الوكيل متوسلين بباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون هذه الجهود في ميزان حسناتنا، والله من وراء القصد.

الشيخ علي خضر الشكري

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٣٦هـ

***



مقدمة شعبة الإصدارات والمطبوعات

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والإحياء، والآخر بعد فناء الأشياء، وصلّى الله على عبده ورسوله محمد ﷺ الذي أرسله بالهدى ونور الحق وعلى أهل بيته الهداة الميامين، وبعد..

تتصاغر الكلمات وتتضاءل العبارات عند الحديث عن رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كنفس الرسول بنص الكتاب المجيد.. فتذهب حينها روعة البيان.. وسحر الكلام حين يخوض المرء في هذا البحر اللجي.. الذي لو كانت البحار مداداً والأشجار أقلاماً لما استطاعت عدّ فضائله التي حباه الله تعالى بها.

ومن هذا المنطلق تسعى شعبة الإصدارات والمطبوعات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة إلى نشر فكر وتراث الإمام

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للقـرّاء الكـرام؛ لينهلـوا مـن هـذا المعـين العذب فكراً وثقافة إسلامية صحيحة بعيـدة عـن التعـصّب أو الغلـو؛ لأنّها تنطلق من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ومنه تعالى نستمدّ العـون والتوفيق، والله من وراء القصد..

شعبة الإصدارات والمطبوعات

١٢ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ ــ ٢/ ٢/ ٢٠١٥م

***

﴿ من كرامات أبي طالب عليه السلام معي ﴾

قال تعالى: ﴿ **مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ** ﴾ (يونس: الآية ٣).

قال الإمام علي عليه السلام «**محبنا وناصرنا ينتظر الرحمة...**» (نهج البلاغة).

قبل كتابة هذا الكتاب، كنتُ مُصاباً بشلل نصفي تام، مع صداع شديد في الرأس يؤدي إلى نوبات غيبوبة وفقدان وعي، جراء جلطة دماغية حادة أُصبت بها عام ٢٠٠٢ عندما كنت مقيما بلندن، وقد عجز حينها اشهر اطباء الاختصاص في العالم من مُعالجتي وشفائي، مما منعني من مواصلة الكتابة وأيقنت حينها لابد من معجزة ربانية، وكرامة محمدية حتى عدت للعراق، لانعم بقرب الصفوة من آل بيت النبوة، وأشم نسيم عطرهم الفواح، وتطمئن النفس بأجوائهم المفعمة بالإيمان، وتكتحل العيون بشموخ قبابهم ومنائرهم، التي تحكيى تاريخهم البطولي، وسيرتهم المطرزة بمواقفهم الجهادية ضد الظالمين، ونصرة المستضعفين، ولإتمام ما بدأت مشواري في الكتابة عن حقهم وموالاتهم، جاء كتابي هذا، وعندما بدأت بتأليفه وأنا على تلك الحالة الصحية والنفسية توسلت إلى الله تعالى بأبي طالب وأنا في ضريح ابنه الإمام علي عليه السلام أن أنجز

هذا العمل دون أي مضاعفات مرضية أخرى، متفائلاً ان هذا الكتاب وسيلتي إلى الله تعالى وأنه سيكون سبباً في شفائي من مرضي القاهر هذا، وهكذا وما أن انهيت مراسم الزيارة بدا وكأني أصبحت قادراً على الكتابة والبحث من جديد، وبالفعل هذا ما تم وجرى لي طيلة فترة التأليف والتي استمرت لأكثر من سنة ونصف، وما تطلب ذلك من جهد وارهاق في الكتابة والبحث والتحقيق، وزيارة المكتبات العامة والخاصة، فضلاً عن أداء الشؤون الاجتماعية الاخرى، وكتابة البحوث والمقالات الأخرى الخاصة بهم عليهما السلام ، وبعد أن انتهيت من كتابة هذا الكتاب (عطاءات أبي طالب)، وقررت طبعه ونشره حتى شعرت بفيض كرامات الامام علي ووالده عليهما السلام ، وهكذا أصبحت قادراً على مواصلة الكتابة والبحث من جديد، كيف لا وأنا المتيقن يقيناُ تاماً ومطلقاً أن من يأخذ جانب أبي تراب يستقوي ويعلو شأنه.

والحمد لله على نعمه كلها وأسأله أن يجعلني من الموالين لهم ومن الناصرين لغائبهم والفائزين بشفاعتهم في الدنيا والآخرة.

المؤلف / عبد الحسين الخزاعي

النجف الأشرف

***

من شعر أبي طالب بحق النبي صلى الله عليه وآله

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد	وأحببته حب الحبيب المواصل
وجدتُ بنفسي دونه فحميته	ودافعت عنه بالذرى والكواهل
وايده رب العباد بنصره	واظهر ديناً حقّه غير باطل

سيرة ابن هشام ج١ ص٢٦٠ - ٢٦٦

أقوال النبي صلى الله عليه وآله بحق أبي طالب عليه السلام

* «يا عم ما أسرع ما وجدتُ فقدك».

السيرة الحلبية ج١ ص٤٩٧

* «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب».

سيرة ابن هشام ج١ ص٣٨٠

* «لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً».

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص٥٠٢



❁ الإهـــداء ❁

بعد ان كتبت سابقاً عن الإمام علي عليه السلام كان قدري هذه المرة ان اكتب عن والده أبي طالب عليهما السلام فما أجمل الأقدار وأحلاها عندما تجتمع وتكون في خدمة الاسلام ورسوله صلى الله عليه وآله، فالأول ابن عم النبي صلى الله عليه وآله والثاني عمّه، وكلاهما دافعا عنه صلى الله عليه وآله وعن دينه كلاً بطريقته الخاصة، مما ترك اثراً طيباً في الإسلام، وما أجمل قول الشاعر في هذا الخصوص عندما قال:

ولـــولا أبـــو طالـــب وابنـــه	لمـا مثـل الـدين شخـصاً فقامـا
فـــذاك بمكـــة آوى وحامـــا	وهـــذا بيثـــرب جـــس الحمامـــا

فإليهما وإلى من يصبو لكلمة الاسلام أن تكون هي العليا، وانتصاراً للمستضعفين والمظلومين ولعاشقي ومحبّي نهج علي عليه السلام أهدي جهدي المتواضع هذا.

وعرفاناً واهداءً خاصاً لعزيزي شقيقي الأكبر الاستاذ الحاج عبدالزهرة (أبو حيدر) لمواقفه النبيلة معي خاصة أيام مرضي ولعائلته الكريمة، وبالأخص منها أولاده الاعزاء (وائل وقاسم واختهما نسرين) لجهودهما الاستثنائية تجاهي أيام صراعي مع المرض، وكذلك زوجتي العلوية أم علي، ولكلّ من وقف معي وأعانني من الاهل والاصدقاء وفّق الله الجميع لكل خير وصلاح .



قصة الكتاب[1]

سبحان الله رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين الذي نصر رسوله الامين بعمه الناصر لدين الله أبي طالب والد امير المؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن أخي أبي طالب المبعوث فينا رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبة الاخيار ومن والاهم إلى يوم الدين، وبعد...

فان ذكر أي من النقيضين: (الكفر والاسلام، البخل والكرم، الخيانة والأمانة، الشجاعة والجُبن، الفقر والغنى، العلم والجهل، الصدق والكذب، ... او غير ذلك من صفات أفراد المجتمع في حياة أية شخصية كانت، فهذه أو غيرها، أو مثلها تُعد من طبائع الإنسان بحد ذاته، ولا عجب في الوقوف عندها وذكر أصحابها، لكن الغريب في الأمر، أن تسخر أحدى هذه المفردات الآنفة الذكر أو سواها، وتلصق إلصاقاً وتزييفاً للحقائق على شخصية ما، لحساب أية جهة كانت لاهداف سياسية، أم مذهبية، أو شخصية ضيقة، لا يُراد منها خير

(١) لقد اعتدت ان أسمي دوافع الكتابة في مؤلفاتي بهذا العنوان بدلاً عن المدخل لذا اقتضى التنويه.

الأمة ووحدتها، بل العكس من ذلك هو المطلوب، وإلاّ فنحن نعلم ان كثيراً من الصحابة عايشوا، ورافقوا النبي الكريم ﷺ، ومضوا إلى سبيل حالهم ولم ينفض الغبار عن سيرهم أو تاريخهم مهما كانت أو تكن.

لكن الغرابة تبدو واضحة عندما يتعلق الامر بذكر رجل مثل شخصية أبي طال عليه السلام عم النبي ﷺ، خاصة وهو ليس كبقية أعمامه الآخرين، فهو الذي كفل النبي ﷺ عندما كان يتيماً وتعهده بالتربية والرعاية منذ صغره ﷺ، وهذا ما تذكره معظم كتب التاريخ والسيرة عند المسلمين.

ومع هذا وذاك، يُصر على كفران هذا الرجل المعروف (بشيخ البطحاء، سيد مكة وقريش، وحامي الرسول ﷺ والمدافع عن رسالته السماوية الخالدة) فضلاً عن لعن وسبّ إبنه علي عليه السلام على اكثر من سبعين ألف منبر لمدة قاربت نصف قرن أو أكثر ومع معرفة هؤلاء القوم ايضاً بسبق وجهاد علي في الإسلام.

فإذا قُيِمَ الرجلان الوالد والابن بصورة حيادية وبدون تعصب أو ميل لجهة على حساب اخرى، فإننا نجد وبدون ادنى شك ان حسناتهما أكثر من سيئاتهما أو كما يقال في المقارنة الصحفية: إنّ ايجابياتهما تعلو على سلبياتهما (إن وجدت) وإلا فإن فضليهما في الإسلام معاً يظهر واضحاً لا غبار عليه وهذا ما يلخصه ابن ابي الحديد بشعره اذ يقول:

ولـــولا أبـــو طالـــب وابنـــه | لمـــا مثـــل الـــدين شخـــصاً فقامـــا
فـــذاك بمكـــة آوى وحامـــا | وهـــذا بيثـــرب جـــس الحمامـــا

وإذا كان الامر (وهو الواقع) كذلك، فلماذا إذن ونحن في الألفية الثانية، ونعيش في عصر العولمة، وقمة المدنية وهناك من المسلمين من يتشبث بهذا، وهو

كفران الوالد أبي طالب ونكران مقام الابن علي بن ابي طالب، وعدم الاعتراف بدوره الرئيس مع أبيه في الإسلام؟!

وذات ليلة وانا اشاهد التلفاز، وإذا بإحدى القنوات الفضائية العربية ذات التوجه الإسلامي كما يزعمون، تستضيف داعية اسلامية، كما يسمون، وهو يجد ويجتهد من أجل إقناع المشاهد بأن لا شفاعة ولا قُربى في الإسلام، مستشهداً بالمثال التالي إذ قال: «فهذا أبو طالب (عم النبي) مات كافراً، وانه في الدرك الاسفل من النار»، مدعماً أقواله تلك بأحاديث منسوبة للنبي ﷺ زوراً وبهتاناً، لا يمكن للعقل أن يقبل بها، يتحدث هذا (الداعية) وكأنه هو الذي يزكّي الأنفس، خاصة وانه يتميز بلحية طويلة كثة، وثوب قصير ويحمل بيده مسواكاً، لا يتوارى من أظهاره للكاميرة، بل على العكس من ذلك، وكأن المسلم الصحيح، هو من يتصف بهذه الصفات، وغيره خارج عن الملة والدين، وعندها تذكرت ما قاله لي الراحل الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله عندما إطلّع على كتابي الاول (إمام وخليفة) الذي كرُس للبحث في إيمان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأحقيته بالخلافة، من بعد الرسول ﷺ، إذ قال لي الشيخ في احدى زياراته إلى لندن بعد أن أثنى على الكتاب والجهد المبذول فيه «لولا كرست نصف هذا الجهد عن والد الامام ـ يعني به أبي طالب ـ فقد كُتب الكثير في علي والقليل عن أبيه، حتى أتباع ولده لم يكتبوا في هذا المجال كثيراً» هذه كلمات الشيخ الوائلي.

وفعلاً، وفي أحد الأيام وبعد أن انتهيت من مراسم زيارة ضريح الإمام علي عليه السلام توجهت وسألت معظم مكتبات النجف التجارية المحيطة بالمرقد الشريف، وهي كثيرة وعامرة بمختلف الكتب، لكنني للأسف لم أحصل الاّ على كتاب أو كتابين، وقد كُتبا قديماً عن إيمان ابي طالب، لكن هذا لا يلغي وجود

المؤلفات الكثيرة التي كتبت باللغتين العربية والفارسية، ما حتمّ عليَّ ان انهض بهذه المسؤولية وأكتب عن إيمان أبي طالب ولماذا يُكفَر هذا الرجل؟! مثلما كتبت سابقاً عن إيمان ابنه عليه السلام مع ضعف الامكانات الصحية والمعنوية الاخرى والتي أمرُّ بها في الوقت الحاضر.

هذا، مع انّي معتقد ومؤمن إيماناً مطلقاً، انّ ما كُتب وقيل عن الخلافات المذهبية والطائفية، ليست بحاجة إلى من يضيف إليها، او ينظّر فيها، كونها من مخلفات الماضي السحيق، ولا يستفيد من ترويجها الاّ اعداء الاسلام والمسلمين جميعاً بغض النظر عن المذهب الذي ينتمي إليه الآخرون مهما حملوا من افكار، لأن التحديات توجه للمسلمين على حد سواء.

وتأسيساً على هذه النظرة، وانطلاقاً من الواقع المُعاش حالياً جاء هذا الكتاب ليطرح هذه القضية المختلف عليها بين السنة والشيعة، بإسلوب عصري معتدل بعيداً عن الطائفية المقيتة والمذهبية المسيسة ليجيب على الاسئلة المثيرة حول إيمان أبي طالب بموضوعية وواقعية لاظهار الحقيقة بتجرد بعيداً عن العاطفة والمؤثرات الاخرى، وقد تمّ تقسيم البحث إلى أربعة فصول، كل فصل يحتوي على أكثر من مبحثين سالكاً فيها:

منهجية البحث المستند على التسلسل الزمني في حياة أبي طالب كما جاءت في التاريخ والسنة النبوية، لهذا جاءت العناوين كالتالي:

الفصل الأول: ترجمته وما يتعلق بحياته وبما له علاقة او دلالة على إيمانه، وفيه ثلاثة مباحث : الاول بين اسمه ونسبه والقابه، وعرض الثاني واولاده، اما الثالث فكان مخصصا عن ابيه واخوته.

الفصل الثاني: وقسّم إلى اربعة مباحث وناقش هذا الفصل قضية كفالة أبي طالب للنبي ﷺ، متى بدأت وكيف كانت، وعلاقة أبي طالب بالنبي ﷺ قبل البعثة النبوية وبعدها والى أي حدّ كان أبو طالب مع ابن اخيه في بعثته.

اما **الفصل الثالث** وكان هو محور الكتاب وقضيته، إيمان ابي طالب، وتعرض ومن خلال خمسة مباحث إلى اصل الخلاف، ولماذا أُستهدف أبو طالب، وما هي ادلة مكفريه ؟ ثم ذكر في الباب الخامس والاخير الادلة والشواهد على إيمان ابي طالب.

الفصل الرابع والاخير من كتابنا هذا وكذلك من خلال اربعة مباحث تناولت وفاته، ووصيته ولماذا كان يصرّ على كتمان إيمانه، والخاتمة كانت هي مسك الختام من هذا الفصل وفيها ذكر نتائج ابحاثنا والمراد منها طيلة تلك البحوث.

وبقدر تعرض الكتاب هذا إلى مواضيع حساسة غاية في الاهمية من جهة، بقدر ما يدعو في اثناء صفحاته وبين السطور من ناحية ثانية إلى لمّ شمل المسلمين، وتوحدهم والالتفاف حول المشتركات بينهما وما اكثرها، ذاماً في الوقت نفسه التفرقة، واقصاء الآخر، وذكر نقاط ضعف ومساوئ طرف على حساب آخر، لغرض التشفي من ذلك الطرف الذي هو الآخر يقر الشهادتين ايضاً.

وفي ذات الوقت ايضاً، مدركاً بأن الامة بأمس الحاجة إلى من يلملم شتاتها، ويبلسم جراحها ليرسوا بها على شاطئ الامان بعيداً عن مسميات التطرف والغلو او التشدد واخيراً الارهاب والتي أصبحت هذه وسواها

عناوين يتهم بها المسلمون ويُنظر اليهم جميعاً، في وسائل الاعلام العالمي المعولم يومياً.

فيأتي هذا الكتاب ليعرض لنا هذه الدراسة والابحاث التي نعتقد انها تشكل بارقة بصيص أمل مستنهضة الآخرين ومن جميع الاطراف ليتم التشخيص، ثم يأتي العلاج من المتصدين لقيادة شؤون الأمة في مختلف الاتجاهات والميادين.

انها تجربة تترك الباب مفتوحاً على مصراعيه من اجل اثراء الموضوع في جميع أبعاده، وطرح الآراء التي قد نتفق معها، أو نختلف عليها من اجل الوصول وتحقيق الهدف المنشود والوقوف معاً بوجه التحديات التي تستهدف الامة بكاملها والله من وراء القصد ومنه التوفيق والسداد.

عبد الحسين الخزاعي

العراق / النجف الاشرف

رمضان ١٤٣٤هـ / تموز ٢٠١٣



الفصل الأوّل

ترجمة أبي طالب عليه السلام

المبحث الأول

إسمه ونسبه وألقابه

اسمه ونسبه:

هو أبو طالب[1] بن عبد المطلب بن هاشم (سمي بذلك لانه هشم الثريد للناس في أيام الغلاء والجوع) بن عبد مناف (لانه علا وارتفع) بن قصي (لانه اقصي عن دار قومه) بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن خزيمة بن مدركة بن إلياس (النبي) بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان[2] بن أد ابن أدد بن اليسع بن الهميسع بن يامين بن يشخب بن منحر ابن صابوغ بن الهميسع بن نابت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم (الخليل) بن تارخ بن ناحور بن شروغ بن أرغو (يقال هو هود (النبي) بن أرمخشد بن شالخ

---

(١) هذا هو اسمه الذي اشتهر به، وهو كنيته ايضاً ومن اسمائه: عبد مناف وهو اسم تاريخي مذكور بالاشعار، كما سيمر في البحث، وقيل اسمه عمران وقيل كنيته اسمه.

(٢) عمود النسب إلى عدنان متفق عليه، وما بعده إلى آدم مختلف فيه، وروي ان رسول الله ﷺ كان اذا انتسب وصل إلى عدنان أمسك، وكان يقول ﷺ «اذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا»، وهذا ما تذكره معظم كتب التاريخ والسير المعتمدة في كتابنا هذا .

بن سام بن نوح (النبي) بن المسك بن أخنوخ (يقال هو ادريس) بن سهائيل بن مارد بن قينان بن انوش (ويقال قينان بن أدد) بن شيت (وهو هبة الله) بن آدم عليه السلام وقيل ان كل واحد من هؤلاء الاباء والاجداد، اما نبي من الانبياء او سيد من السادات، او وصي من الأوصياء، وهم آباء واجداد نبينا محمد صلى الله عليه وآله خاصة، وان عبد الله والد نبينا الكريم صلى الله عليه وآله محمد هو شقيق أبي طالب لابيه وامهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومي[1]. ويعتبر أبو طالب شاعراً مُجيداً، لا تمر حادثة الا ويسجلها شعرا، وكان يبدو عليه بهاء الملوك ووقار الحكماء.

ألقابه:

لأبي طالب القاب كثيرة منها: سيد البطحاء شيخ قريش، رئيس مكة، الحامي، الشيخ، وبيضة البلد. وقد ذكرت هذه الالقاب معظم المصادر المعتمدة في كتابنا هذا، كما سيمر لاحقاً . وقد روى كل من نقل غزوة الخندق، ان اخت عمرو بن ود العامري، ندبت ترثي اخاها عندما قتله الامام علي بن أبي طالب، قائلةً:

لوكان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ابداً ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى ابوه بيضة البلد[2]

---

(١) معظم كتب التاريخ والسير أخرجت هذا النسب، الا اننا اعتمدنا مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب تحقيق دكتور يوسف البقاعي ط٢ ايران ١٤٢٧ ج١ ص٢٠٢-٢١١.

(٢) الحاكم النيسابوري المستدرك على الصحيحين، بيروت ١٩٧٨ ج٣ ص٣٦ كتاب المغازي ، ابن شهر اشوب (السابق) ج١ ص٥٠، وذكر ذلك عباس محمود العقاد في عبقرية الامام علي، المكتبة العصرية، بيروت، بدون سنة طبع ص٢٥.

ولانه كان يتصف بتلك الالقاب ويمتاز بتلك الشمائل الخاصة بالصالحين والاوصياء فان عامة أهل مكة وقريش خاصة كانوا يهابونه، ويخافون سطوته، ولهذا فان اولاده واحفاده من بعده كانوا هم القيمون على الدين، وانهم المضحين المدافعين عنه.

***

المبحث الثاني

زواجه وأولاده[1]

زواجه عليه السلام:

تزوج أبو طالب من فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وقد جاء في خطبة أبي طالب لزواجه هذا انه قال: الحمد لله رب العالمين، ورب العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا اعلاماً وسدنة، عُرفاء وخلصاء، وحجة بهاليل (جمع بهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير) اطهار من الخنا والريب والاذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب آل ابراهيم وصفوته، ومن ذرية اسماعيل، وضئضئ معد (أصل معد) وعنصر مضر (في كلام له .. ثم قال: وقد تزوجت بنت اسد، وسقت المهر، ونفذت الامر، فاسلوه واشهدوا، فقال اسد: زوجناك ورضينا بك، ثم أطعم الناس سبعة ايام ينحر فيها الماشية ويطعم المسافر والمقيم والجائع، حتى قال أُمية

---

(١) ذكرنا هذا الموضوع لما له أهمية وعلاقة في اثبات إيمان أبي طالب فضلا عن التسلسل الزمني في حياته.

بن أبي الصلت في ذلك:

أغمرنا عرس أبي طالب	وكان عرساً لبن الحالب
اقراؤه البدو باقطاره	من راجل خفّ ومن راكب
فنازلوه سبعة أحصيت	أيامها للرجل الحاسب[1]

ومن الجدير ان نذكر هنا بعضاً من صفات هذه المرأة المؤمنة الجليلة: انها اول هاشمية ولدت خليفة هاشمياً[2]، وانها عندما جاءها الطلق، وهي حامل بعلي كانت تطوف بالبيت الحرام، ففتح لها الجدار ودخلت، فوضعته فيها (ولدته داخل الكعبة)، وهذا ما يذكره العقاد في عبقريته[3].

كما انها أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت بها وشهد رسول الله ﷺ جنازتها وصلى عليها ودعى لها، ودفع قميصه ﷺ فكفنوها به، وفيها نزلت:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْـمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِالله شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَـهُنَّ الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الممتحنة ١٢).

فعن ابن عباس: انها اول إمرأة بايعت محمداً رسول الله ﷺ بمكة بعد خديجة، وان رسول الله ﷺ نزل في قبرها[4].

---

(١) ابن شهر اشوب (السابق) ج٢ ص١٩٦، وقوله في الخطبة هذه لا ينم إلا عن إيمان مطلق.

(٢) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٨٩، تحقيق محمد محي الدين، بيروت ١٩٨٨ فصل خلافة علي بن أبي طالب.

(٣) عباس محمود العقاد (السابق) ص٧.

(٤)سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص بيروت ١٩٨١، ص٢٠.

وعن وفاتها رضي الله عنها يذكر ابن الصباغ: انه ﷺ قال بعد ان اضطجع بقبرها: اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، لقّنَها حجتها، ووسع عليها مدخلها، وعن معاملته ﷺ قال ﷺ: البستها قميصي، لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت في قبرها، ليخفف عنها من ضغطة القبر، انها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليّ بعد أبي طالب رضي الله عنها ورحمها[1]، او قوله ﷺ بحقها «اخبرني جبريل عن ربي عز وجل انها من أهل الجنة، وان الله تعالى امر سبعين الفا من الملائكة يصلون عليها»[2]، ولابدّ من الاشارة هنا إلى ان التاريخ والكتّاب معاً ظلما هذه المرأة المؤمنة (من قصد او دون قصد) لا لشيء سوى انها والدة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ووفاءً لمسيرتها العطرة في الحياة كأم مسلمة، جاء هذا الذكر المختصر لها في كتابنا هذا، خاصة وان الله سبحانه وتعالى ذكرها وخلدها بالقرآن كما اشرنا سابقاً.

ومن الجدير ذكره هنا: ان معاملة النبي ﷺ لفاطمة بنت اسد ومكانتها عنده ﷺ لم تأتِ من فراغ، وإنما لأنها كانت من المسلمات المؤمنات السابقات للإسلام فضلاً عن معاملتها الطيبة له ﷺ عندما كان يعيش في بيتها تحت رعاية أبي طالب زوجها، وإنها ايضاً على مثل هذه المكانة كانت زوجة مخلصة مطيعة لأبي طالب، وان ابا طالب كان على تلك العلاقة الزوجية حتى وفاته[3].

---

(١) ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، مطبعة العدل، النجف، بدون سنة طبع ص٣١.

(٢) الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، (السابق)ج٣ ص ١٠٨.

(٣) ستكون هذه النقاط وسواها من الأدلة المساعدة في إثبات إيمان أبي طالب كما سيمر في الفصل الثالث ـ الباب الخامس ـ من كتابنا هذا، فراجع.

أولاده:

أنجبت فاطمة بنت أسد من أبي طالب ستة: اربع ذكور وبنتان، فالذكور: طالب وعقيل وجعفر وعلي وبين كل واحد والأخر عشر سنين، فطالب اكبر ولد أبي طالب وبه كان يكنى، وبين طالب وعقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر عشر سنين، وبين جعفر وعلي كذلك ايضاً، فعلي أصغر ولده[1].

مكانة أولاد أبي طالب عند الرسول صلى الله عليه وآله:

ما لا يخفى على أحد مكانة الابن عند الاب، الاّ ان أولاد أبي طالب وفضلاً عن مكانتهم عند أبيهم كانت لهم مكانة خاصة عند الرسول صلى الله عليه وآله علماً بأنه صلى الله عليه وآله تربى معهم وعاش عندهم:

فطالب، اكبرهم، اخرجه المشركون يوم بدر للقتال معهم كرهاً وعندها قال:

لا هـــم أمـــا يغـــزون بطالـــب	في مقنـــب مـــن هـــذه المقانـــب
ولـــيكن المغلـــوب غـــير غالـــب	ولـــيكن المـــسلوب غـــير ســـالب

فلما انهزم المشركون يوم بدر، لم يوجد لا في القتلى، ولا في الاسرى ولا رجع إلى مكة، ولا يدرى ما حاله، وليس له عقب[2].

ولطالب شعرٌ يمدح فيه الرسول صلى الله عليه وآله، منه:

---

(١) ابن الجوزي (السابق) ص٢١.

(٢) ابن الجوزي (السابق) ص٢١، ومثله معظم كتب التاريخ والسير المتعرضة لمعركة بدر. فراجع.

ألم تعلموا ما كان في حـرب داحـسٍ[1] وجـيش ابي يكـسوم إذ ملئـوا الـشعبا

فلـــولا دفـــاع الله لا شيء غـــيره لأصــبحتم لا تمنعــون لكــم سربــاً

فـــما ان جنينـــا في قـــريش عظيمـــة سـوى ان حمينـا خـير مـن وطـئ التربـا

أخـــا ثقـــةٍ في النائبـــات مُـــرزءٍ كـــريماً نـــشأهُ لا بخـــيلاً ولا ذربـــا

يُطيــفُ بــه العــافون يغــشون بابــه يؤمـون بحـراً لا نـزُوراً ولا صربـا[2]

هنا كما نقرأ يذكرهم طالب بفضل النبي ﷺ ودينه على الأمة عموماً وقريش خصوصاً ومذكرهم أيضاً بأنه ﷺ كريم غير بخيل أو فاسد، وان بابه مفتوح للطالبين، وهذا دليل على إيمانه واسلامه، لا كما يعتقد مبغضي أبيه؟؟

أما عقيل بن أبي طالب، فإنه ايضاً أُخرج يوم بدر مع من أُخرج مُكرهاً، وأُسر يومئذ، ولم يكن له مال، ففداه عمه العباس، ثم رجع إلى مكة، فأقام بها إلى سنة ثمان من الهجرة، ثم خرج مهاجراً إلى المدينة، فشهد غزاة مؤته، واطعمه رسول الله ﷺ من خيبر مائة واربعين رسقاً[3]، وكان يكنى بـ(أبي يزيد).

أسلم عقيل عام الحديبية، وحُسن اسلامه، وقال له النبي ﷺ «يا أبا يزيد اني أُحبك حبين: حب لقرابتك مني، وحبٌ لما أعلم من حب عمي إياك»[4].

---

(١) داحس: اسم فرس، كانت حرب بسببه، وابو يكسوم: ملك من ملوك الحبشة.

(٢) النزور: القليل، الصرب المنقطع، ابن هشام السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا واخرون ط٥ ٢٠٠٦ بيروت ج٢ ص٢٦ باب ما قيل من شعر يوم بدر.

(٣) ابن الجوزي(السابق) ص٢١.

(٤) ابن هشام السيرة النبوية (السابق) ج٢ ص٥ باب ذكر اسرى قريش.

وكان لعقيل اولاد منهم: يزيد ومسلم، وهو الذي بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، فقتله ابن زياد[١]، كونه سفيراً للحسين وطلائع ثورته التصحيحية.

ومن صفاته ـ فضلاً عن كونه عالماً بأنساب العرب ـ:

«انه اسرع جواباً، وابلغهم في ذلك، قال له معاوية يوماً، اين ترى عمك أبا لهب من النار (ولم يقل له ابيك)؟! فقال له عقيل: اذا دخلتها يا معاوية فهو على يسارك مفترشاً عمتك حمالة الحطب، والراكب خير من المركوب»[٢].

انه جواب وحجة علوية، لا تقبل الجدل او النقاش. خاصة ان مقولة معاوية تدل على معرفته بأن والد عقيل (أبي طالب) هو من أهل الجنة.

وهكذا هم آل أبي طالب.

أما جعفر بن ابي طالب، فإنه يكنى بأبي عبد الله وان النبي صلى الله عليه وآله قال لجعفر: أشبهت خُلقي وخَلقي[٣]، او قوله صلى الله عليه وآله عندما رآه: قادماً من هجرته الاولى: لا ادري بأيهما افرح بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر[٤].

---

(١) ابن الجوزي(السابق) ص٢٢.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية تحقيق عبد الله الخليلي ط٢ بيروت ٢٠٠٦ ج١ ص٣٨٢ باب: ذكر أول الناس إيماناً به صلى الله عليه وآله.

(٣) البخاري، صحيح، طبعة دار صادر، بيروت، بدون سنة طبع ص٦٥٥، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله باب مناقب جعفر بن ابي طالب.

(٤) الحاكم النيسابوري(السابق) ج٣ ص٢٣٠-٢٣١ كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب جعفر بن ابي طالب.

وكان رسول الله ﷺ يسميه: ابا المساكين، لانه كان يحبهم، ويطعمهم ويجلس اليهم، ويرفق بهم[١].

ويذكر أهل السيرة والتاريخ: ان جعفراً بن أبي طالب اخذ اللواء (يوم مؤته) بأمر من النبي ﷺ بيمينه، فقُطعت، فأخذه بشماله فقُطعت ايضاً، فاحتفظه بعضديه، حتى قُتل رضي الله عنه، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بها حيث شاء[٢].

وان الرسول ﷺ كان يقول لعبد الله بن جعفر:

«هنيئاً لك، ابوك يطير مع الملائكة في السماء»[٣].

وقوله ﷺ رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير مع الملائكة في السماء[٤] ولتلك المكانة التي كان يحظى بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ وفي السماء كان ايضاً شقيقه (ابن امه وابيه) علي بن أبي طالب عليه السلام يفتخر بذلك إذ يقول عليه السلام:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يمسي ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمي[٥]

---

(١) ابن الجوزي(السابق) ص١٦٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (السابق)ج٢ ص٣٢١ باب ذكر غزوة مؤته (إمارة جعفر ومقتله).

(٣) الحلبي ، السيرة الحلبية(السابق) ج٣ ص١٠٠ باب غزوة مؤته.

(٤) الحاكم النيسابوري (السابق) ، مستدرك الحاكم ج٣ ص ٢٣٠ .

(٥) ابن الجوزي(السابق) ص١٠٢.

امّا علي بن أبي طالب: فهو أصغرهم سنّاً، لكنه اكبرهم سناءً، واكثرهم فضائل ومناقب، وقد ذكرنا في بداية هذا الموضوع كيف ولدعليه السلام في جوف الكعبة المشرفة، فضلاً عن ان نفسه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله [1]، بنص القرآن الكريم ﴿.. وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (آل عمران/ ٦١).

كما وانه عليه السلام وشيعته هم خير البرية بنص القرآن أيضاً كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة/ ٧).

فقد أجمعت الكثير من المصادر على ان علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، وإنهم خير البرية[2].

ولأن الأمر الواقع كان كذلك، فقد حُورب علي عليه السلام في أبيه، وبالتالي حُورب اتباعه من الشيعة فيه عليه السلام. وبين هذا وذاك يبرز هذا الكتاب وغيره من الكتب الأخرى لترفع بعض تلك الشبهات والاّ ما الذي يضر المسلمين ونحن

---

(١) كثيرة هي المصادر التي تبين ان علياً نفسه نفس محمد صلى الله عليه وآله منها: صحيح مسلم، بيروت ط١ ٢٠٠١، ص٩٤٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي ح رقم ٣٢ ومستدرك الحاكم(السابق) ج٣ ص١٦٠.

(٢) ذُكر هذا المعنى في: تفسير الدر المنثور للسيوطي، بيروت ط١ ١٩٩٠ ج٦ص٦٤٣، تفسير فتح القدير للشوكاني ط احياء التراث العربي، بيروت بدون سنة طبع، ج٥ص٤٧٧، تفسير فتح البيان للقنوجي البخاري، تحقيق عبد الله بن ابراهيم الانصاري، بيروت ١٩٩٢، ج١٥ ص٣٣٨، ترجمة ابن عساكر من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، بيروت ط٢ ١٩٨٠، ج٢ص٤٤٢، الصواعق المحرقة ط٢ القاهرة ١٩٦٥ ص١٢٧، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ط١ تحقيق المحمودي بيروت ١٩٧٤ ج٢ ص٤٠٠، وقد روى اكثر من عشرة احاديث بهذا الخصوص، اضافة إلى آخرين لم نذكرهم.

في هذا العصر ان يعطى أبو طالب حجمه الطبيعي الذي كان عليه في عهد النبيﷺ باعتباره رجل مؤمن محامٍ عن النبي ﷺ ورسالته ومضحياً بأولاده من اجل اعلاء كلمة الاسلام، لا العكس من ذلك، والى متى يبقى هذا الغي والعناد من أجل تفرق الأمة وتشرذم أبنائها.

بناتـه:

لأبي طالب بنتين هما: أم هاني (وقيل اسمها فاخته، أو فاطمة وقيل هند والأول هو الأشهر)، والثانية اسمها جُمانة، وقد اسلمت قديماً وحُسن اسلامها.

أم هاني:

كانت أم هاني زوجة هبيرة بن عمرو بن عائد بن عمرو المخزومي ولها منزلة ومكانه خاصة عند رسول الله ﷺ فتذكر كتب التاريخ والسيرة الرواية التالية والتي تدل على عمق ورسوخ العلاقة ومتانتها بالرسول ﷺ ومكانتها عنده ﷺ: «إنّ ام هاني بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي (اقرباء زوجها) من بني مخزوم، فدخل عليّ، علي بن أبي طالب أخي فقال: لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ فوجدته يغتسل من جفن، إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثمان ركعات من الضحى، ثم أنصرف إليّ، فقال مرحباً وأهلاً بأم هاني، ما جاء بك، فأخبرته خبر الرجلين، وخبر علي، فقالﷺ: قد أجرنا من آجرتِ، وأَمنا من آمنتِ، فلا يقتلهما)[1].

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية (السابق) ج٢ ص٣٤٨ باب ذكر فتح مكه.

وقد زاد ابن الحلبي على ابن هشام قائلاً: (وفي البخاري ايضاً انه ﷺ أغتسل في بيتها ثم صلى الضُحى ثمان ركعات، ولما ذُكر ذلك لابن عباس رضي الله عنه قال اني كنت أمر على هذه الآية ﴿ **يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ**﴾ (ص/١٨)[١].

وفي رواية ابن ابي الحديد عن إجارة أم هاني قال: (فقامت أم هاني في وجه علي دونهما، فقبضت على يده التي فيها السيف، ففاتاه، فجاء علي عليه السلام رسول الله ﷺ يضحك، فقال له، ما صنعت بأم هاني، فقال سلها يا رسول الله ما صنعت بي والذي بعثك بالحق، لقد قبضت على يدي وفيها السيف، فما استطعت ان اخلصهما الاّ بعد ان فاتني الرجلان، فقال ﷺ «لو ولد أبو طالب الناس كلهم، لكانوا شجعاناً، قد أجرنا من آجرتِ وآمنا من آمنتِ، فلا سبيل لك، عليها»[٢].

ومن تلك الحادثة أسلم الرجلان، بعد ان اجارتهما أم هاني، ولمكانتها ومنزلتها عند الرسول ﷺ، يقال ان المعراج والاسراء كان من عندها إذ كان ﷺ راقداً في بيتها:

(عن أم هاني رضي الله عنها قالت ما أُسري برسول الله الاّ وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الاخرة ثم نام ونمنا، فلما كان الفجر نبهنا، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هاني لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس، فصليت فيهن ثم صليت الغداة معكم

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج٣ ص١٣٤ باب ذكر مغازيه ﷺ، ومثله في تذكرة ابن الجوزي (السابق) ص٢٢.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج، بيروت ١٩٨٩مج٢ ص٥٠٩.

الآن، كما ترين الحديث)[1].

ولهذا كان من جملة ابواب المسجد باب ام هاني، وكان يسمى باب العروج[2] ولا ينافي ان يكون الاسراء من بيت ام هاني أو المسجد الحرام، لانه وحسب قول ابن عباس: ان الحرم كله مسجد، وهذا هو قول معظم المفسرين، فتأمل ذلك.

وكان ابنها جعدة يفتخر قائلاً:

أبي من بني مخزوم ان كنت سائلاً ومن هاشم امي لخير قبيل

فمن ذا الذي ينأى علىّ بخاله كخالي علي ذي الندى وعقيل[3]

ولهذا فأن المكانة التي كانت تحظى بها أم هاني وإخوتها الآخرون عند الرسول ﷺ والإسلام، إنما تدل على حُسن التربية التي تلقوها من أبيهم أبي طالب، والتي هي الأخرى لا تنبع الا من شخص مؤمن بالاسلام ومعتقد بنبيه محمد ﷺ وهكذا كانت سيرته وأولاده، ولا يمكن لمن يكتب تاريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ، تجاهلهم مهما كان معانداً وناصبياً؟!

***

(١) الحلبي، السيرة الحلبية (السابق) ج١ ص٥١٦ باب ذكر الاسراء والمعراج.

(٢) يراجع في ذلك معظم المصادر التي تعرضت للاسراء والمعراج، خاصة وكما اشرنا ان البخاري يروي عن أم هاني، وهذا يعني ان كل المراجع السنيّة الاخرى تروي ذلك فراجع.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج (السابق) مج٢ ص٥٠٩.

المبحث الثالث
أبوه وأخوته

أبوه وإخوته:

لقد عُرف عن عبد المطلب انه رفيع المستوى، عميق الجذور، شامخ الرأس، وان له من المناقب ما لا يمكن لهذا البحث المخصص عن ولده أبي طالب ان يلم بها، لكن هذا، لا يمنع من الاشارة إلى بعض مناقبه وآثاره، والتي إن دلت على شيء فإنما تدلّ على سمو شخصيته ومكانته عند قريش عامة وفي السماء بصورة خاصة.

علماً بأن أبا طالب المعني بهذا الكتاب، قد أخذ عن أبيه (كما سيمر) كل شيء...

وفيما يلي مقتطفات من سيرته العبقة:

أ- عبد المطلب وحفره لزمزم.

شيء عن زمزم:

زمزم: وهي دفن بين صنمي قريش، إساف ونائل، عند منحر قريش

كانت جرهم دفنتها حين ضعنوا من مكة، وهي بئر إسماعيل بن ابراهيم عليه السلام التي سقاه الله منها حين ظمأ وهو صغير[1].

قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر، إذ أتاني آتٍ، فقال: احفر زمزم، فقلت: وما زمزم؟، قال: لاتنزف ولا تذم (أي لا يفرغ ماؤها، ولا يلحق قعرها، تسقي الحجيج الاعظم)، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الاعصم (ذو المنقار الأحمر، أو أبيض البطن) عند قرية النمل، فلما كان الغد، ذهب عبد المطلب وولده الحارث (وليس له ولد غيره آنذاك)، فوجد قرية النمل وعندها ينقر الغراب وبدأ الحفر، فعرفت قريش، فقالوا له: لا نتركك تحفر بين وثنينا (صنمينا إساف ونائل) فقال لابنه الحارث: ذُدْ عني (أي امنع عني) حتى أحفر والله لأمضين لما أُمرت به، فلم يحفر الا يسيراً، حتى بدا له الطي (أي البناء)، فكبّر وقال: هذا طي إسماعيل، فعرفت قريش أنه أصابها حقّاً، وقالوا له: أشركنا معك، فقال: ما أنا فاعل، ان هذا الامر قد خُصصت به دونكم فقالوا نخاصمك فيها: فقال: أجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم، وكانت باعلى الشام، وركب عبدالمطلب ومعه نفر من عبد مناف، وركب من كل قبيلة، من قريش نفر، وكان وقت ذاك ما بين الحجاز والشام مفازات، لا ماء بها، فلما كان عبد المطلب ببعض تلك الأماكن انتهى ماؤه، وماء أصحابه، فظمئوا ظمأً شديداً حتى أيقنوا بالموت، فطلبوا الماء ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا نخشى على انفسنا مثل ما أصابكم، وطلب عبد المطلب من أصحابه، أن يحفر كل واحد منهم حفيرة يكون فيها إلى ان يموت،

---

(١)ابن هشام السيرة النبوية(السابق) ج١ ص١٢٠، باب ذكر حفر زمزم.

فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً، فأن يضيع رجل واحد بلا موارة خير من ان يبقى الجميع بلا دفن، فقالوا له: نعم ما أمرت. ثم قال عبد المطلب لاصحابه: والله إنّ إلقاءنا بأيدينا هكذا إلى الموت عجز، فلنغرب في الارض، فعسى الله أن يرزقنا، فانطلقوا، وكل ذلك وقومهم ينظرون إليهم ما هم فاعلون، فتقدم عبد المطلب إلى راحلته، فركبها، فلما إنبعثت، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبّر عبد المطلب ومعه اصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب اصحابه وملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل، فقال: هلموا إلى الماء، فقد سقانا الله، فأشربوا، واستقوا، فجاؤوا، فشربوا واستقوا، ثم قالوا لعبد المطلب: لقد قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم ابداً، ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فأرجع إلى سقايتك راشداً.

فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة فرجع واتمّ الحفر...[١].

ب- نذر عبد المطلب:

قيل ان عبدالمطلب نذر قائلاً: لله عليّ النذر لئن اتاني الله عشرة من الأولاد الذكور، لأنحرنَّ أحدهم عند الكعبة، وفي لفظ آخر قال: ان اجعل أحدهم لله[٢].

عندما اتم عبد المطلب حفر زمزم، وصار أولاده عشرة جمعهم وأخبرهم

(١) هكذا لخصنا الحادثة عن السيرة الحلبية(السابق) ج١ص٥٢ باب حفر زمزم. وما يتعلق بذلك، وهي مسطرة بكل كتب التاريخ والسيرة فراجع.

(٢) الحلبي (السابق)، السيرة الحلبية ج١ ص٥٤، وقيل نذر ذلك عندما يسهل الله عليه حفر زمزم.

بالنذر، فقالوا: لك ما شئت، أو قالوا: كيف نصنع؟! قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ويضع فيه اسمه ونضرب بالقداح (الضرب بالقداح قرعة خاصة كانت معروفة لديهم في ذلك الوقت) فدخل بهم في جوف الكعبة، وقيل ان عبدالله (والد نبينا ﷺ) كان أصغر أولاده وأحبهم إليه، فضرب صاحب القداح، فخرج القداح على عبدالله فأخذه عبدالمطلب ومعه الشفره ليذبحه عند الكعبة، فقامت إليه قريش، وفيهم أخوال عبدالله بنو مخزوم، وقالوا له: لا تذبحه، حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا، فديناه.

وفعلاً انطلق به إلى الحجاز قاصداً العرافة وكانت بخيبر، حتى أتاها مع بعض قومه وفيهم جماعة من اخوال عبدالله ليستفتي عن نذره، وقص عليها عبدالمطلب خبره ونذره فقالت: ارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الابل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، فخرجوا، حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبدالمطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الأبل فخرج القداح على عبدالله، فزادوا عشراً من الابل، فبلغت الابل عشرين، وعبدالمطلب يدعو الله حتى بلغت الابل مائة، وعبدالمطلب يدعو الله فيخرج القداح على الابل وقالت قريش عندها رضا ربك يا عبدالمطلب، فنُحرت الأبل[(١)].

وهكذا نجا عبدالله من الذبح وبهذا يكون عبدالمطلب أول من سنّ دية

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (السابق) ج١ ص١٥٦ باب ذكر نذر عبد المطلب وذبح ولده، ومثله في المناقب لابن شهر اشوب (السابق) ج١ ص٤٦.

النفس مائة من الابل بعد أن كانت عشرة، ثم فشت في العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وآله عند الاسلام، ومنها كان يقول الرسول صلى الله عليه وآله (انا ابن الذبيحين) أي عبدالله وإسماعيل[1].

ج- رؤيا عبد المطلب:

كثيرة هي الرؤيا التي شاهدها عبد المطلب بمنامه، والتي تبشره بخروج ذلك النور الألهي الذي سيشع على العالم وان هذا المنقذ السماوي هو من صلبه، من هذه التباشير ننقل الرواية التالية:

«إنّ عبد المطلب رأى في منامه ان ابنه عبد الله (والد النبي صلى الله عليه وآله كأن خرج من منخره طائر أبيض، فطار وبلغ المشرق والمغرب، ثم رجع وسقط على بيت الكعبة، فسجدت له قريش كلها، فبينما الناس يتأملون- اذ صار نور بين السماء والارض وامتد حتى بلغ المشرق والمغرب، قال عبد المطلب، فسألت كاهنة بني مخزوم، فقالت ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له[2].

د- أولاد عبد المطلب بن هاشم:

ولد لعبد المطلب بن هاشم عشرة نفر، وست نسوة: الذكور: العباس، وحمزة، وعبد الله، وأبو طالب (اسمه عبد مناف) والزبير، والحارث والمقوم، وحجل وضرار، وأبا لهب (اسمه عبد العزى)، ومن النساء: صفيه، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرَّة.

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص٥٥ باب حفر زمزم.

(٢) ابن شهر آشوب (السابق) ج١ ص٤٩.

وان أم عبد الله، وأبي طالب والزبير، وجميع النساء، غير صفيه، هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم[1].

هـ- ولاية عبد المطلب السقاية والرفادة.

ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة (إطعام الحجيج) بعد عمه المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، واحبه قومه، وعظم خطره فيهم[2].

و- مكانة محمد ﷺ عند عبد المطلب:

لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ ان توفي وأم رسول الله ﷺ حامل به[3].

وعندما ولدته ﷺ جاءت به إلى جده عبد المطلب بعدما سمعت نداءً يقول لها: إنك ولدت سيد الناس، واتي به عبد المطلب، فوضعه في حجره ودخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما اعطاه وقال:

الحمـــــد لله الـــــذي اعطـــــاني ... هـــذا الغـــلام الطيـــب الاردانِ

قـــد ســـاد في المهـــد عـــلى الغلـــمان ... أعيـــذه بالبيـــت ذي الاركـــان[4]

(١) ابن هشام السيرة النبوية (السابق) ج١ ص١١٨، باب أولاد عبد المطلب بن هاشم.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية (السابق) ج١ ص١٤٧ باب: ولاية عبد المطلب السقاية والرفادة.

(٣) الهامش السابق ص١٦١ باب موت عبدالله.

(٤) الهامش السابق ج١ ص١٦١ باب ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ، وكذلك مناقب ابن شهر آشوب ج١ ص٥٥ مع اختلاف عجز البيت الثاني بقوله: عوذه الأله بالأركان.

وعندما سُئل عبدالمطلب عن معنى تسميته محمد:

قال: أردت ان يحمد الله في السماء وتحمده الناس في الارض[1]، (وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد من أهل بيته، ولا أحد من أشراف قريش اجلالاً له، فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر: أي شديد قوي حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب: اذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فو الله إن له لشأناً، ثم يجلسه عليه معه، ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع)[2].

ز- استسقاء عبد المطلب بالنبي:

مرت على قريش سنون جدبة، جفت الجلد وارقت العظم وتصحرت المراعي، فاجتمعت قبائل قريش، وانتدبوا من كل بطن ممثلاً، وقرروا ان يفزعوا لشيبة الحمد (عبد المطلب) فقام معهم واستقر بذروة الجبل، ووقفوا بجانبه رافعاً على عاتقه حفيده محمد (وهو يومذاك يتيم صغير) فخطب قائلاً: (اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة، انت عالم غير معلم أو مسؤول غير مبخلٍ وهذه عبيدك واماؤك يشكون إليك سنتهم التي اذهبت ... إلى ان قال: وامطر علينا غيثاً مغدقاً قالت رقيقة بنت ابي صيفي بن هاشم (زوجة عبدالمطلب) فورب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها... ثم انشدت قائلة:

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية (السابق) ج١ ص١١٥ باب تسميته ﷺ.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص١٥٨، باب وفاة أمه ﷺ وكفالة جده عبد المطلب وابن هشام في سيرته ص١٧٠ باب إكرام عبد المطلب له ﷺ.

فجـــاد بالمـــاء جـــوني لـــه ســـبلُ   وخير من بشرت يوماً بـه مـضرُ)[1]

ولما سقوا لم يصل المطر إلى بلاد قيس ومضر، فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب، وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فأقصدوه لعله يسأل الله تعالى فيكم، فقدموا مكة، ودخلوا عليه، فحيوه بالسلام، فقال لهم: أفلحت الوجوه، وقام خطيبهم، فقال:

قد أصابتنا سنون مجدبات، وقد بان لنا أثرك، وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند مـن شفعك، وأجرى الغمام لك فقال عبدالمطلب سمعاً وطاعة، موعدكم غداً عرفات، ثم أصبح غادياً اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله ﷺ فنُصب لعبد المطلب كرسي، يجلس عليه وأخذ رسول الله، فوضعه في حجره، ثم قام ورفع يديه قائلاً: اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف، رب الارباب، وملين الصعاب، هذه قيس ومضر، من خير البشر، قد شعثت رؤوساها، وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال، وذهاب النفوس والاموال، اللهم فأتح لهم سحاباً خوارة، وسماء خرارة لتضحك أرضهم، ويزول ضرهم فما استتم كلامه، حتى نشأت سحابة دكناء لها دوّي، وقصدت عبد المطلب، ثم قصدت نحو بلادهم، فقال عبد المطلب: يا معشر قيس ومضر انصرفوا، فقد سقيتم، فرجعوا وقد سقوا[2].

---

(١) ابن ابي الحديد(السابق) مج٢ ص٢٥٥ وأخرج الاشعار ايضاً الحلبي في السيرة الحلبية (السابق) ج١ ص١٦٣ باب كفالة جده عبد المطلب له.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص ١٦٣-١٦٤ .

ر: وفاة عبد المطلب ووصيته:

بعد حياة مليئة بالمآثر والمناقب الجمة، حياة جاوزت ثمان عقود غمضت عينا عبد المطلب ليودع الدنيا ومعها تركة ثقيلة، انها وديعة السماء التي كان يحملها بصمت وشجاعة وكرم، فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمان سنين، توفي عبد المطلب بن هاشم، وذلك بعد عام الفيل بثمان سنين، ودفن بالحجون (جبل بمكة) عند جده قصي[1].

وصية عبد المطلب:

عند الوفاة وقبل الممات جمعَ عبد المطلب بنيه، وقال: محمد يتميم فآووه، وعائل فأغنوه، احفظوا وصيتي فيه، فقال أبو لهب: أنا له! فقال عبد المطلب: كف شرك عنه، فقال العباس: أنا له: فقال: أنت غضبان لعلك تؤذيه، فقال أبو طالب: أنا له: فقال: أنت له، يا محمد اطع له، فقال رسول الله ﷺ: يا أبه لا تحزن فإن لي ربّاً لا يضيعني، فأنشأ عبد المطلب قائلاً:

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بموحد بعد أبيه فرد[2]

فرد أبو طالب وهو الذي كان مع أبيه عبد المطلب وسمع وأيقن كل ما كان يقال عن محمد ﷺ إذ قال:

لا توصني بلازم وواجب ... إني سمعت أعجب العجائب

من كل حبر عالم وكاتب ... بان بحمد الله قول الراهب

(١) الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص١٦٥ باب وفاة عبد المطلب.

(٢) ابن شهرآشوب، المناقب: ج١ ص٦٢، وعبد مناف كما ذكرنا سابقاً هو من اسماء ابي طالب.

فأمسكه أبو طالب في حجره، وقام بأمره يحميه بنفسه وماله وجاهه في صغره من اليهود والمرصدة له بالعداوة ومن غيرهم من بني أعمامه ومن العرب قاطبة الذين يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة[1]، وينقل عن ابي سعيد الواعظ، وهو: الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري، انه لما حضرت عبد المطلب الوفاة، دعا ابنه أبا طالب، فقال له: يا بني قد علمت شدة حبي لمحمد ووجدي به، انظر كيف تحفظني فيه، قال أبو طالب: يا أبه لا توصيني بمحمد فإنه ابني وابن اخي، فلما توفي عبد المطلب، كان أبو طالب يؤثره بالنفقة، والكسوةوعلى جميع اهله[2].

أقول: إذا أضفنا إلى هذه الرواية شعر أبي طالب الذي قال عند قبوله بالوصية قبل قليل والذي ذكر فيه ما كان يسمعه من الرهبان والكهنة، وما في الكتب القديمة من نبوءات وبشارات عن نبوة محمد صلى الله عليه وآله، وكيف يبين هو بنفسه انه صاحب تجارب مع أبيه في الرعاية والكفالة عندما قال ايضاً:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب

بابن الحبيب اكرم الاقارب بابن الذي قد غاب غير آيب[3]

يتبين لنا مدى المكانة والرعاية التي كان يحظى بها النبي صلى الله عليه وآله عند أبي طالب وان ابا طالب كان شريكاً فعلياً لعبد المطلب في الرعاية والكفالة للنبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) ابن شهرآشوب، المناقب: ج١، ص٦٢-٦٣.

(٢) الهامش السابق نفسه.

(٣) الهامش السابق ص٦٢.

وقيل ايضاً: انه صلى الله عليه وآله هو اختار ابا طالب لكفالته لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت عبد المطلب(١).

استنتاج:

من هذا كله يتجلى لنا بوضوح ونحن نختم فصلنا الأول هذا مشاركة أبي طالب لأبيه عبد المطلب برعاية النبي محمد صلى الله عليه وآله منذ البداية(٢).

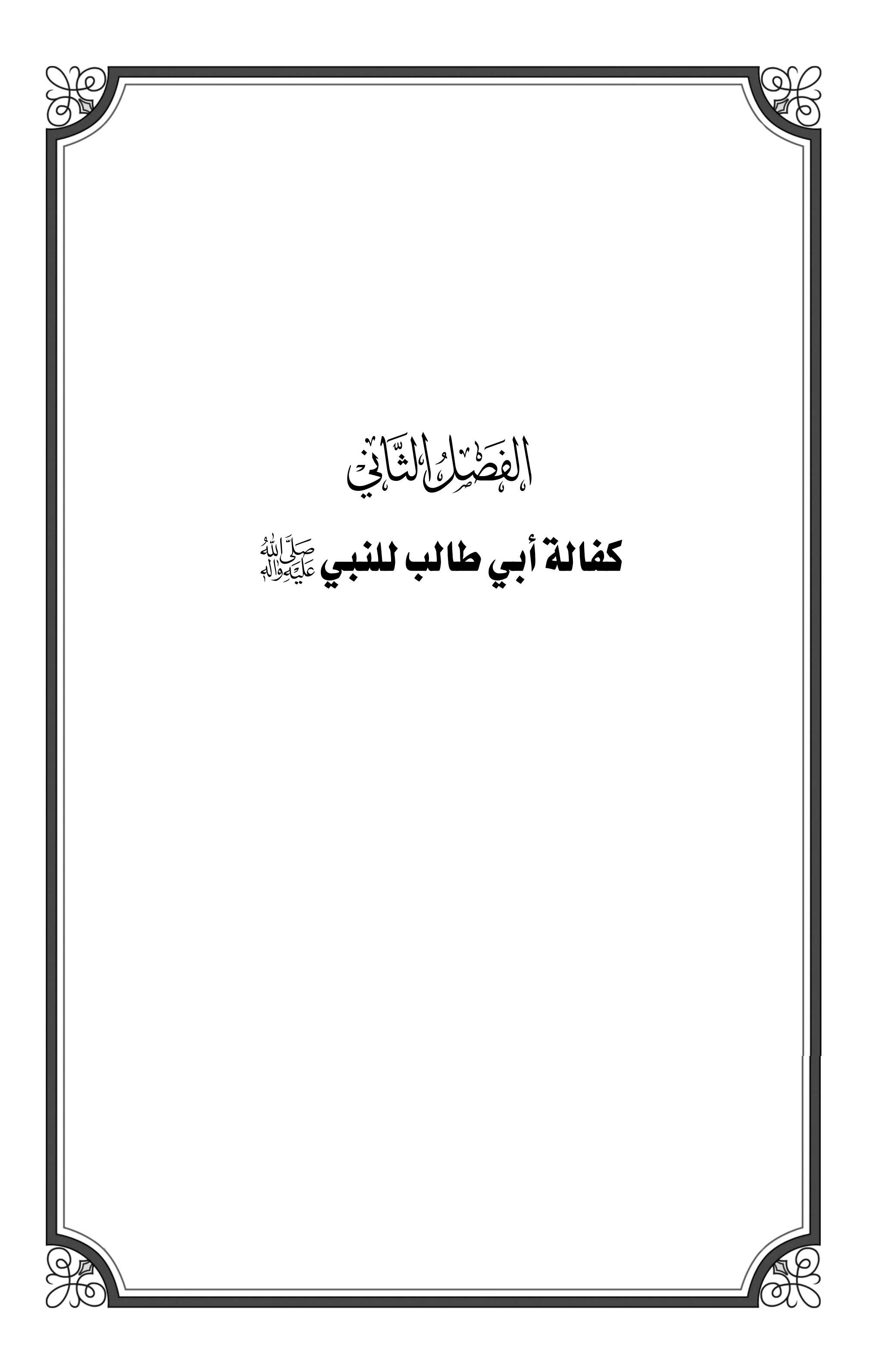
ومثلما ورث أبو طالب عن ابيه كفالة محمد صلى الله عليه وآله كذلك ورث الرفادة والسقاية(٣).

---

(١)الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص١٦٥ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له صلى الله عليه وآله.

(٢) مشاركة كفالة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله مع ابيه عبدالمطلب مذكورة في: السيرة الحلبية ج١ ص١٦٨ باب وفاة عبد المطلب وسيرة ابن هشام ج١ ص٧٩ باب كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣)الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص٢٤ باب نسبه الشريف صلى الله عليه وآله.



الفصل الثاني

كفالة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله

المبحث الأول

منزلة النبي ﷺ عند ابي طالب

منزلة النبي محمد ﷺ عند أبي طالب:

لا يخفى على أحد منزلة ابن الاخ عند عمه بصورة عامة، أما إذا كان ابن الاخ صغيراً يتيماً ملهماً مثل الطفولة التي عاشها نبي الرحمة محمد ﷺ، وان هذا الكفيل عمه أبو طالب على دراية تامة بما سيؤول إليه مستقبل ابن اخيه، فنجده يحيط به، احاطة تامة، خاصة وان الاعداء من الغرباء والاقرباء متربصون به من كل حدبٍ وصوب على حد سواء، لهذا كان يقدمه على نفسه وأولاده ويحميه بكل ما يستطيع، لانه وكما ذكرنا سابقاً كان يعيش المعاجز والارهاصات التي سبقت نبوته بحياة عبد المطلب، وان ابا طالب كان متيقناً يقيناً تاماً بأن ابن اخيه هو نبي الأمة مثلما كان عبدالمطلب يقول عن محمد عندما كان صغيراً، فإن أباطالب وفي مثل الموقف نفسه، الذي كان يمر به ابوه، فكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها، فجاء النبي ﷺ فجلس عليها، فقال: ان ابن اخي ليُحسُ بنعيم: أي بشرف عظيم[1].

(١)الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص١٦٩.

ولهذا كان يقول أبو طالب:

ان ابــن آمنــة النبــي محمــداً   عنــدي بمثــل منــازل الاولاد

راعيــت فيــه قرابــة موصــولة   وحفظـت فيـه وصـية الاجـداد[1]

وعن منزلته صلى الله عليه وآله عند أبي طالب نذكر الحادثة التاريخية التالية:

« كان أبو طالب اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، احياناً يبكي، يقول اذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله اخوه لأبويه، فكان شديد الحب والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحبّ له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له علي ليلة: يا ابت اني مقتول، فقال له:

اصــبرن يــا بُنــي فالــصبر أحجــى   كــل حــي مــصيره لــشعوب[4]

الله قد[2]بلى الـصبر والـبلاء شـديد   لفــداء الحبيــب وابــن الحبيــب

الأغــر ذي الحــسب الثاقــب   البــاع والكــريم النجيــب

إن تــصبك المنــون فالنبــل تــبرى   فمــصيب منهــا وغــير مــصيب

كــل حــي[3] وان تطــاول عمــراً   آخــذ مــن مــذاقها بنــصيب

فأجاب علي عليه السلام قائلاً:

---

(١) ابن شهر آشوب، المناقب (السابق) ج١ ص٦٦-٦٧.

(٢) في الديوان: قدم الصبر فالبلاء الشديد.

(٣) هكذا في الديوان أما في النهج: كل حيّ وان تملى بعمر.

(٤) شعوب: من اسماء المنية.

أتـــأمرني بالـــصبر في نـــصر أحمـــد   ووالله ما قلـت الـذي قلـت جازعـا
ولكننـــي احببـــت ان تـــر نـــصرتي   وتعلـــم اني لم ازل لـــك طائعـــاً[1]

وفي رواية أخرى: «كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاء أبو طالب فأنهضه عن مضجعه، وأضجع علياً عليه السلام مكانه.

فقال علي عليه السلام : يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة.

فقال أبو طالب: الاشعار السابقة الذكر:

واجابه علي عليه السلام : الاشعار السابقة مع بيت ثالث يقول فيه:

وسـعيي لوجـه الله في نـصر أحمـد   نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعـا[2]

استنتاج :

ومن هذا نستنتج ان فعل ونهج أبي طالب مع ابن اخيه ﷺ هذا لا ينمُّ عن عاطفة انسانية بحق يتيم فقط، كما يذهب البعض إلى هذا الرأي، لأن العاطفة لا تستوجب التضحية بالابن من اجل ابن الاخ، والاّ فالابن اولى بعاطفة الاب من الآخرين فتأمل!!

***

(١)ابن ابي الحديد في شرح النهج (السابق) مج٣ ص٣١٤.

(٢) ابن شهر آشوب (السابق) ج١ ص٩٧.

المبحث الثاني

قبل البعثة

عرفنا من خلال ما تقدم ان ابا طالب كان شريكاً فعلياً لوالده عبد المطلب برعاية وكفالة النبي محمد ﷺ، وإنه انفرد لوحده وقام بهذا العبء الثقيل بعد وفاة عبد المطلب، وكان أبو طالب يعيش كل الارهاصات والنبؤات التي كانت تحدث للنبي مع جده عبدالمطلب[1]، وإتماما لما مرّ سرده، نذكر الرواية التالية التي تبين شراكة أبي طالب لابيه عبدالمطلب في كفالة ورعاية النبي ﷺ من قبل بعثته ﷺ المباركة.

فهؤلاء قوم من بني مدلج[2]: يقولون لعبدالمطلب، عندما شاهدوا الصبي محمد: احتفظ بهذا، فإنا لم نرَ قدماً اشبه بالقدم الذي في المقام من قدميه، (فقال عبد المطلب لأبي طالب: إسمع ما يقول هؤلاء فإن لابني هذا ملكاً، ثم ان أبا طالب قام بنصرة رسول الله ﷺ وكفالته أحسن القيام، فكان معه لا يفارقه،

(١) مثل رؤيا ونذر واستسقاء عبد المطلب بالنبي ﷺ وغيرها مما مرّ ذكره في الفصل الاول من كتابنا هذا المبحث الرابع.

(٢) وهم القافه، العارفون بالآثار والعلامات.

وكان يحبه حبّاً شديداً، ويكرمه على أولاده ولا ينام الا وهو إلى جانبه، وكان يقول له: انك لمبارك النقيبة وميمون الطلعة)[1].

ومعنى نبوءة هؤلاء القوم: هو ان ابراهيم الخليل عليه السلام أثرت قدماه في المقام، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت الحرام، والى هذا أشار عمه أبو طالب مقسماً بذلك، إذ قال:

وبالحجر الأسود إذ يلثمونه ... اذا اكتنفوه في الضُحى والأصائل

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافياً غير ناعل

يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت قدر قدمه حافية لا منتعلة[2]، ومشابهة قدم نبينا محمد صلى الله عليه وآله لقدم سيدنا ابراهيم الخليل، تدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض كالأرواح التي هي امتداد لبعضها البعض، وانها حنفية الدين اسلامية المعتقد، طاهرة المولد، ومن الجدير ذكره هنا ان أبا طالب حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه عبدالمطلب[3] وهذا هو سلوك الاوصياء في حياتهم وممارساتهم باعتبارهم الامتداد الطبيعي للانبياء.

دلائل النبوة:

من الارهاصات والكرامات والتي هي اقرب منها إلى الاعجازات التي تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله، وهي حدثت للنبي محمد صلى الله عليه وآله مع عمه أبي طالب قبل

---

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص١٨.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص١٥٩ باب وفاة امه صلى الله عليه وآله. وكذلك أخرج الشعر ابن هشام في سيرته ص٢٥٩ باب شعر أبي طالب في استعطاف قريش.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص١٦٥ باب وفاة عبدالمطلب وكفالة عمه أبي طالب له صلى الله عليه وآله.

البعثة النبوية المباركة، سوف نذكر هنا فقط بعض ما وقفنا عليه من هذه الدلائل في كتب أهل السنة فقط، والمتفق عليها إلى حدٍ ما، بحسب التسلسل الاتي:

أولاً: نبع الماء:

عن أبي طالب قال: كنت بذي المجاز (مكان على فرسخ من عرفة كان سوقاً للجاهلية) مع ابن اخي محمد، فأدركني العطش، فشكوت إليه، فقلت يا ابن اخي: قد عطشت، وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئاً الا الجزع ـ أي لم يحملن ـ على ذلك الا الجزع وعدم الصبر، قال فهوى إلى صخرة فركضها (ضربها) برجله، وقال شيئاً فإذا انا بالماء لم أر مثله فقال اشرب، فشربت حتى رويت فقال أرويت؟! قلت: نعم، فركضها ثانية فعادت كما كانت[1].

ثانياً: انه مبارك:

«كان أبو طالب مُقلاً من المال، فكان عياله إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، واذا أكل معهم النبي ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم، يقول لهم: كما أنتم، حتى يأتي ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم، وان كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تتناول العيال القعب (قدح من خشب) فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً واحداً، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك[2].

---

(١)الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص١٦٥ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ.
وكذلك تجدها مختصرة في تذكرة الخواص لابن الجوزي(السابق) ص١٨.

(٢)الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص١٦٩.

ثالثاً: البسملة على الأكل :

«يقول أبو طالب: لقد كنت كثيراً ما اسمع منه اذا ذهب من الليل كلاماً يعجبني، وكنا لا نسمي على الطعام ولا على الشراب، حتى سمعته يقول: بسم الله الاحد، ثم يأكل فإذا فرغ من طعامه، قال الحمد لله كثيراً، فتعجبت منه، وكنت ربما أتيت غفلة، فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السماء، ثم لم أرَ منه كذبة قط، ولا جاهلية قط، ولا رأيته يضحك في موضع الضحك، ولا مع الصبيان في لعب، ولا التفت اليهم وكان الوحدة أحب إليه والتواضع»[1].

رابعاً: سفرة الشام:

«إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، واجمع المسير، تعلق به رسول الله ﷺ، فرقّ له (أبو طالب)، قال:

والله لأخرجن به معي او لا يفارقني، ولا افارقه أبداً، فخرج به معه، فلما نزل الركب بُصرى (مدينة بالشام) وبها راهب يقال له، بحيري في صومعة له، وكان عنده علم أهل النصرانية، (ويسكن هذه الصومعة منذ أمد طويل)، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى اذا كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريباً من صومعته.

إذ رأى (الراهب) بحيري رسول الله ﷺ، من صومعته، وهو ﷺ في الركب، حين أقبلوا، وإذا غمامة تظلله من بين القوم، ثم أقبلوا، فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت (مالت وتدلت)

(١) ابن شهر آشوب(السابق) ج١ ص٦٤.

أغصانها على رسول الله ﷺ، حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيري نزل من صومعته، فأمر لهم بطعام فوضع لهم طعاماً كثيراً، ثم ارسل اليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وانا أحب ان تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، عبدكم وحركم، فقال له: رجل منهم: والله يابحيري، ان لك لشأناً اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟! قال له: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن اكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم، فاجتمعوا اليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم، لحداثة سنه في رحال القوم، تحت الشجرة، فلما نظر في القوم، ولم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده قال: يا معشر قريش الا يتخلفن أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلام، وهو أحدث القوم سناً، فتخلف في رحلهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش مع القوم، واللات والعُزى إن كان للُؤمّ بنا أن يتخلف ابنُ عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فأخذه من حضنه، وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحيري، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى اشياء من جسدِ وقد كان يجدها عنده من صفته، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيري، فقال له: يا غلام، أسألك بحق اللات والعُزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وانما قال له بحيري ذلك، لانه سمع قومه يحلفون بهما (وقيل انما سأله ذلك اختباراً له، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضيهما، فقال له بحيري: فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء ومن حاله في نومه وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما

عند بحيري من صفته، ثم نظر إلى ظهره فراى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، ولما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون ابوه حياً.

قال: فإنه ابن أخي.

قال: من قتل اباه؟!

قال مات وأمه حُبلى به

قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغُنّه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده[1].

وكما هي عادة أبو طالب، تسجيل كل حادثة يمر بها بشعر يخلدها لتصبح فيما بعد وثيقة: يُحتج بها على من ينكر هذا الدفاع المستميت منه عن ابن أخيه ﷺ، حيث انشد قائلاً، مصوراً أيضاً تعلق ابن أخيه محمد براحلته عند أول السفر، وكيف ذرف الدموع حناناً منه عليه ﷺ.

إن ابـــن آمنـــة النبـــي محمـــداً ‏ ‏ عنـــدي بمثـــل منـــازل الأولاد

لمـــا تعلـــق بالزمـــام رحمتـــه ‏ ‏ والعـــيش قـــد قلـــصن بـــالازواد

(١)ابن هشام، السيرة النبوية (السابق)ج١ ص١٨٠ باب قصة بحيري، والحلبي في السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص١٧١ باب ذكر سفره ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام.

فــأرفض مـــن عينّــي دمــع ذارف　　مثــــل الجــــمان مفــــرد الافـــــراد

راعيـــت فيـــه قرابـــة موصـــولة　　وحفظـــت فيـــه وصـــية الاجـــدادِ

حتـى إذا مـا القـوم بـصرى عـاينوا　　لاقـــوا عـــلى شرف مـــن المرصـــادِ

صـــبراً فـــأخبرهم حـــديثاً صـــادقاً　　عنـــــه ورد معـــــاشر الحـــــسّادِ[1]

أقول: من نبوءات هذا الراهب إلى اقوال ذلك الكاهن مع أخبار أهل المعرفة والآثار[2] والتي جرت مع أبيه عبد المطلب وبحضوره الشخصي، تيقن أبو طالب يقيناً خالصاً لا يشوبه ادنى شك بأبن أخيه ﷺ هو نبي آخر الزمان، لهذا تحتم عليه ان يحميه، ويحافظ عليه، ويدافع عنه مضحياً بكل ما أُتي من قوة، وما هذا الموقف الا من إيمانه القوي بنبوة ودين ابن أخيه الجديد.

خامساً: الاستسقاء ببركة النبي محمد ﷺ:

مثلما حدث بالأمس من استسقاء لعبد المطلب بمحمد ﷺ وبحضور أبي طالب يُعيد التاريخ نفسه، لكن بغياب عبد المطلب فقط.

فتروي لنا السيرة: «قال جلهة بن عرفط: قدمت مكة وقريش في قحط، فقائل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزى، فقائل منهم يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه، جيد الرأي: أنى تؤفكون أي تصرفون عن الحق، وفيكم باقية ابراهيم، وسلالة اسماعيل عليه السلام؟ أي فكيف تعدلون عنه إلى ما لا يجدي نفعاً، قالوا: كأنك عنيت أبا طالب، قال: إيها فقاموا

---

(١) ابن شهر آشوب، المناقب: ج١ ص٦٦.

(٢) راجع الباب الاول من هذا الفصل من كتابنا هذا.

بأجمعهم وقمت معهم، فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه، عليه إزار قد اتشح به، فثاروا (أي قاموا) اليه، فقالوا: يا أبا البطحاء، أقحط الوادي، واجدب العيال، فهلم فاستسقِ لنا، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن (أي ظلام تجلى عند سحابة قتماء) وحوله أغيلمه، فأخذه أبو طالب، فالصق ظهره بالكعبة.

ولاذ (أي اشار) بأصبعه الغلام إلى السماء، وما فيها قزعة (قطعة من السحاب) فأقبل السحاب من ههنا وأغدودق (أي كثر المطر) وانفجر له الوادي، وأخصب النادي والبادي.

وفي ذلك يقول أبو طالب من قصيدة: يمدح بها النبي وكرمه اكثر من ثمانين بيتاً منها:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل[1]

سوف نذكر ابيات من هذه القصيدة في الفصل الثالث من كتابنا هذا في مبحث الادلة والشواهد على إيمان أبي طالب، والغريب ان الناقل لهذه الرواية يذكر من هذه القصيدة بيتاً واحداً فقط، ويقول: فأخذت الشيعة من هذه القصيدة القول بإسلام أبي طالب[2].

أقول: انهم يعرفون ويحرفون، فإنا لله وإنا إليه راجعون والا ما يضر هذا قول الشيعة باسلام هكذا رجل مؤمن، ولما كان ذكر هذه القصيدة كما يبدو هو

---

(١)الحلبي، السيرة الحلبية: ج١ ص١٦٩ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ.

(٢) المصدر السابق ص١٧٠.

إثبات للحقيقة ودحضاً للباطل سوف نذكرها مع أبيات أخرى تدل على إيمان أبي طالب التام بالنبي ورسالته الاسلامية الخالدة، ودينه الذي ارتضى في الفصول الاتية من كتابنا هذا انشاء الله، ومن مصادرهم فقط، كي تكون حجة عليهم .

سادساً: الشفاء بدعائه ﷺ :

من مصاديق إيمان أبي طالب بنبوة ابن اخيه محمد ﷺ، ايضاً يُنقل عن سلمان الفارسي (رض): «انه مرض أبو طالب، فعاده الرسول ﷺ، فقال أبو طالب له ﷺ: سل ربك ان يعافيني، فقال ﷺ: «اللهم اشفِ عمي» فقام أبو طالب كأنه أنشط من عكاب»[1].

التجارة مع خديجة برغبة من أبي طالب:

يذكر الحلبي في سيرته: «ان ابا طالب قال لمحمد ﷺ: يا ابن اخي انا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان (من قحط وسنون شديدة الجدب) وليس لنا ما يمدنا وما يقومنا، ولا تجارة، وهذه ابل قومك وهي تحمل التجارة، وقد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في إبلها، فيتجرون لها في مالها، ويصيبون منافع، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لأسرعت اليك وفضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك، وان كنت لأكره ان تأتي الشام، واخاف عليك من يهودها (وهنا تكمن قمة رعاية وكفالة أبي طالب له ﷺ، ولكن لا تجد لك من ذلك بداً، فقال له رسول الله ﷺ،

(١)ابن شهر آشوب، المناقب(السابق) ج١ ص١١٧.

فلعلها ان ترسل اليّ في ذلك، فقال أبو طالب: اني اخاف ان تولي غيرك، فتطلب امراً مدبراً فأفترق، فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه أبي طالب له ﷺ. فقالت خديجة: إني دعاني إلى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم خلقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، ففعل رسول الله ﷺ، ولقي عمه أبا طالب فذكر له ذلك، فقال أبو طالب: إن هذا لرزق ساقه الله إليك[1] (الإيمان بالرزق من مصاديق الإيمان الغيبي بقدرة الله، وهذا يعني ان ابا طالب على إيمان تام بقدرة الله وتدبيره).

وإنما جاء هذا العرض من أبي طالب لعمل النبي بالتجارة مع خديجة تحديداً هو لحكمة ومآرب اخرى في نفس ابي طالب، لما كان يعلمه من ابن اخيه من مستقبل عالمي (ان صحت تسميته)، وانه ﷺ كان ينعم برعاية الهية خاصة، يختلف بها عن الجميع وهذا ما توصل إليه أبو طالب بسيرته الطويلة تلك مع النبي محمد ﷺ منذ ان كان يتيماً صغيراً حتى أينع شبابه، واصبح رجلاً قادراً مستقلاً بعمله وفعلاً تمت السفرة التجارية الاولى للشام بغياب عمه.

فخرج ﷺ مع غلام خديجة ميسرة الذي أوصته قائلة: لا تعص له أمراً ولا تخالف له رأياً، وجعل عمومته يوصون به أهل الابل، ومن حين سيره ﷺ أظلته الغمامة فلما قدم ﷺ الشام نزل في سوق بصرى، في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطور، فاطلع الراهب إلى ميسره، وكان يعرفه فقال له يا ميسرة مَنْ هذا الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحزم، فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي أي صانها الله

(١) السيرة الحلبية ج١ ص١٩٣ باب سفره ﷺ إلى الشام شيئاً.

تعالى ان ينزل تحتها غير نبي، ثم قال له: أفي عينه حمرة؟! قال ميسره: نعم لا تفارقه، فقال الراهب: هو هو، وهو آخر الأنبياء، ويا ليت اني أدركه حين يؤمر بالخروج: أي يبعث، فوعى ذلك ميسرة (وكانت هذه الشكلة في عينه من علامات نبوته ﷺ في الكتب القديمة).

ونختصر قصة الراهب ... فحضر رسول الله ﷺ سوق بصرى، فباع سلعته التي خرج بها واشترى وربحوا ربحاً ماربحوا مثله قط، قال ميسرة يا محمد أتجرنا لخديجة أربعين سنة ما ربحنا قط اكثر من هذا الربح على وجهك، ثم انصرف أهل الابل جميعاً راجعين مكة، وكان ميسرة يرى ملكين يظللانه ﷺ من الشمس وهو على بعيره إذا كانت الهاجرة، واشتد الحر، ولما كانوا بمرّ الظهران (وهو واد بين مكة وعسفان) وقال ميسرة للنبي ﷺ هل لك ان تسبقني إلى خديجة فتفيدها بالذي جرى، لعلها تزيدك، فركب النبي ﷺ وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة في علية (في غرفة مع النساء) فرأت رسول الله ﷺ حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظللان عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله ﷺ فخبرها بما ربحوا، وهو ضعف ما كانت تربح ففرحت بذلك، وقالت: أين ميسرة؟ قال ﷺ: خلفته في البادية، قالت عجل إليه ليعجل بالإقبال (وإنما ارادت ان تعلم أهو الذي رأت أم غيره) فركب رسول الله ﷺ وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الأولى فاستيقنت انه هو، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت، فقال لها ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها ايضاً بقول الراهب نسطور، وحينئذ أعطت خديجة له ﷺ ضعف ما سمت له[1].

---

(١) السيرة الحلبية: ج١ ص١٩٦باب سفره ﷺ إلى الشام ثانياً.

وهكذا استمر النبي ﷺ بالعمل تاجراً مع خديجة، وتم لأبي طالب ما خطط إليه ودبر.

الزواج المبارك:

بعد الذي عرفته خديجة من غلامها وما رأته بنفسها من تكامل في شخصية محمد ﷺ فكانت لها رغبة بالزواج منه، خاصة وانها كانت تخبر ابن عمها ورقة بن نوفل وكان ممن تتبع الكُتب وعلم من علم الناس بما كانت تعرفه عن محمد ﷺ فكان ورقة يقول لها: لئن كان هذا حقّاً يا خديجة ان محمداً لنبي هذه الأمة[1]، وهكذا وقعت خديجة وهي السيدة الجليلة الغنية بين ضدين بين الدافع والمانع بين دافع الشوق الذي يأمرها بعرض نفسها على صاحب الشخصية المتكاملة وبين الحياء الذي يمنعها من ان تخطب لنفسها، حتى إذا مرت فترة عصيبة وهي على تلك الحالة: خاصة وان العادات تمنع من ان تخطب المرأة لنفسها، حتى قررت ان تضع حداً لهذا القلق وافضت بسرها هذا إلى احدى صديقاتها ممن تثق بها وهي نفيسه بنت منية[2].

علماً بأن كل رجل من قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، هذا وقد طلبوها وذكروا لها الأموال فلم تقبل، تقول نفيسه: فأرسلتني دسيساً (سراً) إلى محمد ﷺ[3] بعد ان رجع في إبلها من الشام ذات مرة، فقلت: يا محمد ما يمنعك ان تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما اتزوج به، قلت: فإن كفيت ذلك

(١) سيرة ابن هشام ص١٩٩، باب حديث تزويج رسول الله ﷺ من خديجة

(٢) السيرة الحلبية: ج١ ص١٩٩ باب تزوجه ﷺ خديجة بنت خويلد (رض).

(٣) المصدر السابق.

ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية الا تجيب؟ قال ﷺ فمن هي؟ قلت خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: بلى وأنا أفعل، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه أتِ الساعة كذا وكذا فأرسلت إلى عمها، فحضر ودخل رسول الله ﷺ في عمومته وفيهم سيدهم أبو طالب.

خطبة خديجة :

ذكر معظم من نقل زواج الرسول ﷺ من خديجة خطبة أبي طالب في الزواج حيث قال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئة معد (أي معدنه) وعنصر مضر (أي أصله، وجعلنا حضنة بيته (المتكلفين بشأنه) وسوّاس حرمه (أي القائمين بخدمته) وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الارجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وان كان في المال قل، فإن المال ظل زائل وأمر حائر وعارية مسترجعة، وهو الله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتي عشرة أوقية (اربعون درهماً) ونشا (عشرون درهماً)، وقال ورقه بن نوفل (ابن عم خديجة) وبعد مقولة أبي طالب تلك قال:

وانتم أهل ذلك كله، لا ينكر العرب فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا عليّ معاشر قريش اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر.

وقال أبو طالب: (قد احببت ان يشركك عمها، فقال عمها: اشهدوا عليّ معاشر قريش إني قد انكحت محمد بن عبدالله، وأولم عليها ﷺ: نحر جزورين،

وأطعم الناس، وفرح أبو طالب فرحاً شديداً وقال: الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم، وهي أول وليمة أولمها رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

وروي انه قال بعض قريش: يا عجباً: أيمهر النساء الرجال؟

فغضب أبو طالب وقال: اذا كانوا مثل ابن اخي هذا، طلبت الرجال بأغلى الاثمان، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا الا بالمهر الغالي.

وقال رجل من قريش يقال اسمه عبدالله بن غانم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت ... لك الطير فيما كان منك بأسعد

تزوجتِ من خير البرية كلها ... ومن ذا الذي في الناس مثل محمد[2]

***

(١) السيرة الحلبية (السابق) ج١ ص٢٠٢ باب تزوجه صلى الله عليه وآله خديجة بنت خويلد.

(٢) مناقب بن آشوب ج١ ص٦٩.

المبحث الثالث

بعد البعثة

وجاء اليوم الذي تحققت فيه نبوءات الكهنة والبشارات التي سجلتها الكتب القديمة السابقة، ويسطع نور الرسالة ليبدد الظلام، ويرعب الطغاة صوته ليكسر أصنامهم ويحطم خرافاتهم.

وما ان أتمّ النبي ﷺ عمره الأربعين، حتى أكرمه الله سبحانه وتعالى بالرسالة وناداه المنادي من السماء «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرائيل»[1]، فنهض ﷺ ليصعد على الصفا هاتفاً (يا صباحاه) فاجتمعوا اليه، فقال يا بني فلان، ويا بني فلان، حتى ذكر أكثر بطون قريش الذين لم تعرف عنه غير الصدق والامانة، فقال لهم: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج إليكم من سفح هذا الجبل، فهل أنتم مصدقي؟! قالوا: نعم ما خبرنا عنك انك كاذبٌ، وإنك فينا الصادق الامين، فقال ﷺ : «إنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قولوا: لا إله

---

١) الحلبي، السيرة الحلبية (السابق) ج١ قبل وبعد ص ٣٤٢ باب بدء الوحي له ﷺ

إلّا الله محمد رسول الله» فقاموا ينفضون أثوابهم، يقولون جعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا الا البهتان والسحر بعينه ورماه أبو جهل بحجر، وتتابعت عليه قريش يرمونه بحجارة وهكذا انطلق الصراع بين الحق والباطل بين محمد ﷺ يقف معه عمه الذي انتظر هذا اليوم بفارغ الصبر، وتقف ضده قريش الكافرة قريش الصنم.

نماذج من دفاع أبي طالب عن النبي ﷺ:

فجاء وفد من قريش في المرة الأولى لأبي طالب، فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فأما ان تكفه عنّا وإما ان تخلي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

واستمر العداء وكبرت الفجوة بين قريش الكافرة وبين منقذهم من التهلكة النبي محمد ﷺ فجاء اشراف قريش ثانية لابي طالب وقالوا له: يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، فقال أبو طالب لابن اخيه في السرّ: لا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ انه قد بدا لعمه انه خاذله ومسلمه: فقال الرسول ﷺ «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر.

فأقبل عليه أبو طالب وقال له: إذهب يا ابن اخي فقل ما احببت، فوالله لا أُسلمك لشيء ابداً[1].

(١)ابن هشام السيرة النبوية: ج١ ص٢٥٣، باب مباداة رسول الله ﷺ قومه وما كان منهم.

ويذكر آخرون ان أبا طالب أنشد قائلاً:

والله لــن يـصلوا إليـك بجمعهـم حتـى أوسّـد في الـتراب دفينـا

فأصدع بأمرك مـا عليـك غـضاضة وابـشر بـذاك وقـرّ منـك عيونـا

وعرضـت دينـاً قـد عرفـت بأنـه مـن خـير أديـان البريـة دينـا[1]

ولما رأت قريش ان أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وانّه معه إلى آخر رمق فيه، مشوا إليه مرة اخرى ومعهم الفتى عمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أجمل فتى في قريش، وقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد فتى في قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً لك، وإسلم الينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف ديننا وفرّق جماعتنا، فنقتله، فإنما هو رجلٌ برجل، قال أبو طالب: والله لبئس ما تسومنني: اتعطوني ابنكم اغذوه لكم، واعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون ابداً، فقال المُطعم بن عدي وكان له صديقاً مصافيا: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص من نكره، فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً، فقال أبو طالب للمُطعم: والله ما انصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومُظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك، وحميت الحربُ، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضا وأنشد أبو طالب عند ذلك يُعرض بالمُطعم، ويعُم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم:

ألا قُـل لعمـرو والوليـد ومُطْعـم الا ليت حظي مـن حيـاطتكم بكـرُ

(١)ابن شهر آشوب المناقب: ج١ ص٨٩، وابن ابي الحديد في شرح النهج: ج٣ ص٣١٠.

أرى أخوينـــا مـــن أبينـــا وأُمنـــا إذا سُـــئلا قـــالا: إلى غيرنـــا الأمـــرُ

بـــلى لهُـــما أمـــر ولكـــن تجرجمـــا[1] كما جُرجمت من رأس ذي علق[2] الصخر

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا هما نبـذانا مثل ما ينبـذ الجمـر

هما اشركا في المجد من لا أبا لـه من الناس الاّ ان يُدس لـه ذكـر

فـــو الله لا تنفعـــك منـــا عـــداوة ولا منهم ما كان من نسلنا شفر[3]

ومما قاله أبو طالب في تلك الحادثة:

يقولون لي دع نصر من جاء بالهدى وغالب لنا غلاب كل مغالب

وسلم الينا احمداً واكفلن لنا بنياً ولا تحفل بقول المعاتب

فقلـــت لهـــم الله ربي ونـــاصري على كل باغٍ من لؤي بن غالب[4]

هكذا الإيمان، والا فلا، لقد ضحّى أبو طالب بكل ما يملك من اجل ان يعبّد الطريق امام ابن اخيه ﷺ كي يتم رسالته السماوية واذا كان أبو طالب غير مؤمن بهذا الدين، لم يصر على حرب قومه وهو كبيرهم وسيدهم، والا فوقوفه مع ابن اخيه وهو الذي ربّاه منذ الصغر ما هو الا تحصيل حاصل.

---

(١) تجرجما: سقط او انحدر .

(٢) ذوعلق: جبل في ديار بني اسد.

(٣) شفر: أحد، ذكر ذلك ابن هشام: ج١ ص٢٥٥ باب مباداة رسول الله ﷺ قومه وما كان منهم.

(٤)ابن شهر آشوب المناقب: ج١ ص٩٢.

وتذكر لنا السيرة النبوية كيف ان أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي دخل عند أبي طالب هارباً من قريش ليعذبوه ويفتنوه عن الاسلام هارباً منهم، فاستجار بأبي طالب (علماً بأن أم أبي طالب مخزومية ايضاً) فأجاره، ومشى إليه رجال من بين مخزوم وقالوا له: يا أبا طالب منعت منا ابن اخيك محمد فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال لهم انه استجاربي، وهو ابن أختي، وإن انا لم امنع ابن اختي، لم امنع ابن اخي، فأرتفعت اصواتهم فقام أبو لهب على أولئك الرجال (وابو لهب لم ينتصر لابي طالب قبلها ولا بعدها) فقال يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جوار قومه والله لتنتهن عنه او لنقومن معه، قالوا: بل ننصرف عما تكره يا ابا عتبة، فانصرفوا، وكان ولياً لهم ومعيناً على رسول الله ﷺ وابي طالب(١).

هذا وقد طمع أبو طالب بهذا الموقف من ابي لهب فأنشد يحرضه على نصرة النبي ﷺ قائلاً:

وان امــــرأ أبـــو عتبـــة عمـــه	لفـي معـزل مـن ان يـسام المظالمـا
أقـول لـه وايـن منـه نـصيحتي	ابـا عتبـة ثبـت سـوادك قـائماً
وول سـبيل العجـز غـيرك مـنهم	فإنك لم تخلق عـلى العجـز لازمـا(٢)

وعن جهاد أبي طالب في تلك الفترة ينقل عن ابن عباس: انه قال: دخل النبي ﷺ الكعبة وافتتح الصلاة، فقال: أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل

(١) الحلبي، السيرة الحلبية ج١ ص٤٦٤ باب الهجرة الأولى إلى ارض الحبشة، ولم يخرج الاشعار بل اكتفى بقوله، وأنشد ابياتاً يحرضه فيها على نصرته ﷺ.

(٢)ابن ابي الحديد، النهج : ج٣ ص٣١١.

فيفسد عليه صلاته، فقام ابن الزبعرى، وتناول فرثاً ودماً والقوا ذلك عليه، فجاء أبو طالب، وقد سلّ سيفه، فلما رأوه، قال: والله لئن قام أحد جللته بسيفي، ثم قال: يا ابن اخي من الفاعل بك هذا؟ فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً وألقى عليه[1].

وعن ابي ايوب الانصاري: ان النبي ﷺ وقف بسوق ذي المجاز (سوق بعرفة) فدعاهم إلى الله، والعباس قائم يسمع الكلام، فقال أشهد انك كذاب، ومضى إلى ابي لهب وذكر ذلك، فأقبلا يناديان ان ابن اخينا هذا كذاب فلا يغرنكم عن دينكم، واستقبل النبي ﷺ أبو طالب، فأكتنفه وأقبل على أبي لهب والعباس فقال لهما: ما تريدان تربت (فقرت) أيديكما والله انه لصادق القيل، ثم أنشأ أبو طالب:

أنت الأمين أمين الله لا كذب ... والصادق القول لا لهو ولا لعب

أنت الرسول رسول الله نعلمه ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب[2]

إلى غير ذلك من المواقف البطولية التي وقفها أبو طالب التي هي أجل من ان يقدح احمق بإيمانه النقي.

أبو طالب والدعوة الاسلامية:

لم ينته الموقف من أبي طالب عند هذا الحد مما ذكرنا من حماية النبي ﷺ ونصرة رسالته، بل تعداه إلى الدعوة الإسلامية، فهو داعية إسلامية صادق

---

(١)ابن شهر آشوب، المناقب(السابق) ج١ص٩١.

(٢)ابن شهر آشوب المناقب(السابق) ج١ ص٨٦.

راسخ العقيدة.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه ابي طالب، وانه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم صلى الله عليه وآله: «لو خرجتم إلى ارض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه» فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام[1]. فهاجر عدد من المسلمين إلى تلك الارض، وكان من بين تلك الصفوة المهاجرة جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته وقد يقول قائل: لماذا كان معهم جعفر وهو ابن ابي طالب، فمن اين يخاف؟ وابوه سيد البطحاء ومجير ومفزع قريش، فنقول انما كانت هجرته وهو في ذلك الموقع الاجتماعي ليكون راعياً لهؤلاء المهاجرين وحافزاً للآخرين وسفيراً بينهم وبين أصحابهم ممن بقي مع الرسول يجاهد بنفسه الكفار، ذابين بارواحهم عنه يقودهم والده الهمام أبو طالب.

ولما وصل خبر المهاجرين إلى قريش، غضبوا لذلك، وأوفدو عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي[2]، ليرد جعفر واصحابه فوردوا على النجاشي ومعهم الهديا، وقال عمرو بن العاص: ايها الملك ان قوماً منّا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا، وساروا اليك فردهم الينا، وارسل عليهم وجاؤوا وكان خطيبهم جعفر، وعندما دخلوا، قال عمرو للنجاشي: الا ترى ايها الملك انهم

---

(١)ابن هشام السيرة النبوية: ج١ ص٣٠٠ ذكر الهجرة الاولى إلى ارض الحبشة.

(٢) هو ملك الحبشة آنذاك.

مستكبرون لم يسجدوا اليك عند دخولهم، فقال النجاشي: ما منعكم ان تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي أحيي بها، فقال جعفر: إنا لا نسجد الا لله عزو وجل، قال: ولم ذاك؟! قال: لأن الله بعث فينا نبياً أمر بخلع الانداد وترك الازلام وأمرنا بالصلاة، وحرمة الظلم، والجور وسفك الدماء بغير حق، والزنا والربا وأمرنا ان لا نسجد لغير الله، وأخبرنا ان تحية أهل الجنة السلام، فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضاً.

وقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم، ثم قال النجاشي: يا جعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئاً؟!

قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى قوله «وهزّي اليك بجذع النخلة، تساقط عليك رطباً جنياً، فكلي واشربي وقري عينا» فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال: والله هذا هو الحق، وقال عمرو بن العاص: أيها الملك ان هذا مخالف لنا فردّوه إلينا، ثم قال النجاشي اذهبوا فأنتم آمنون، قالها ثلاثاً[١].

وقد بعث أبو طالب ابياتاً شعرية للنجاشي يحض فيها على إكرام جعفر وان لا يصغي لقول الزور والفرية الذي لفقه عمرو بن العاص ورفيقه.

الا ليت شعري كيف في النأي[٢] جعفر وعمـرو وأعـداء العــدو الاقـــــاربُ

---

(١) هكذا لخصنا الحادثة وهي مروية بإسهاب في كتب السيرة والتاريخ منها: سيرة ابن هشام المصدر السابق، وكذلك الحلبي في السيرة الحلبية ج١ ص٤٧٩ باب الهجرة الثانية إلى الحبشة وغيرها كثير فراجع.

(٢) النأي: البُعد.

وهــل نالت افعال النجاشي جعفــراً وأصحــابــه او عــاق ذلــك شــاغب

تعلــم أبيــت اللعــن[1] انــك ماجــد كــريم فــلا يــشقى لــديك المجانــبُ

تعلـــــم بـــــأن الله زادك بـــــسطة واســباب خــير كلهــا بــك لازبُ[2]

وما ان وصلت هذه الابيات إلى مسامع ملك الحبشة، حتى عوض شكره لابي طالب بان زاد في اكرام جعفر واصحابه من المهاجرين ويذكر بعض المؤرخين[3] ما قاله عمرو بن العاص عند خروجه لبلاد الحبشة، إذ قال:

تقــول ابنتــي ايــن أيــن الرحيــل ومـــا البــين منـــي بمــستنكر

فقلـــت دعينـــي فـــاني امـــرؤٌ اريـــد النجـــاشي في جعفـــر

لاكويـــــه عنـــــده كيـــــة اقـــيم بهـــا نخـــوة الاصـــعر

ولـــن انثنـــي عـــن بنـــي هاشـــم بـــما اسـطعت في الغيــب والمحــضر

لقد جنّ جنون قريش من موقف أبي طالب الصلب إزاءهم ، فكتبوا إليـه:

«ادفع الينا محمداً حتى نقتله ونملكك علينا»[4].

ويذكر ابن هشام عن قصة النجاشي:

---

(١) أبيت اللعن: تحية يحيون بها الملوك في الجاهلية: ومعناه: أبيت ان تأتي ما تذم عليه.

(٢) لازب: لاصق، وقد ذكر القصيدة كاملة ابن هشام في سيرته: ج١ ص٣١١. عند ذكره شعره شعر أبي طالب للنجاشي.

(٣) منهم ابن ابي الحديد في شرح النهج: ج٣ ص٣١٨.

(٤)ابن شهر آشوب، المناقب: ج١ ص٩٧.

«انّ أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب كان ابناً للنجاشي نفسه وان علياً وجده عند تاجر بمكة، فأشتراه منه وأعتقه، مكافأة لما صنع ابوه مع المسلمين، ويقال ان أهل الحبشة ارسلوا وفداً منهم إلى ابي نيزر، وهو مع علي ليملكوه ويتوجوه، ولم يختلفوا عليه، فأبى وقال ما كنت لأطلب الملك بعد ان منّ الله عليّ بالاسلام، وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجهاً، ولم يكن لونه كألوان أهل الحبشة واذا رأيته قلت: هذا رجل من العرب»[١].

استنتاج :

اذا كان موقف العم من ابن اخيه قبل البعثة من باب العاطفة والقرابة فبماذا يفسر موقف أبو طالب من النبي ﷺ بعد البعثة ؟؟ لا تفسير الا الإيمان بنبوة ابن اخيه ورسالة السماء، وهذا ما تجلى لنا بوضوح في المواقف السابقة لابي طالب وابنه جعفر اتجاه النبي ورسالته ﷺ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على عمق ورسوخ هذا الإيمان في ذلك الرجل، وهذا ما سنعرفه اكثر في المواضيع التالية.

***

(١)ابن هشام، السيرة النبوية: ج١ ص٣١٨ هامش الصفحة باب اسلام عمر بن الخطاب.

المبحث الرابع
تصديق دعوة وطاعته ﷺ

حديث الانذار:

من الحوادث التاريخية المهمة والثابتة في سيرة أبي طالب مع النبي ﷺ موقفه المشرف مع النبي عندما طلب الوحي منه ﷺ ان يبلغ عشيرته الاقربين ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ (الشعراء/ ٢١٤)، فقد اجمعت ونصت معظم كتب التاريخ والسيرة على هذه الحادثة، فيروى عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال:

لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال لي: يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت اني متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره، فصمتُ عليه حتى جاءني جبريل، فقال: يا محمد إنك الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من الطعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما أُمرت به، قال علي عليه السلام:

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً او ينقصون فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وابو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته فتناول رسول الله ﷺ حذيه (قطعة من اللحم) فشقها بأسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة، ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى الا موضع ايديهم، وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال ﷺ: اسق القوم، فجئتهم بذلك العُس فشربوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ ان يكلمهم بادره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لقد سحركم صاحبكم!

فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال: الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل ان اكلمهم، فعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم اليّ، كما فعل الأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال ﷺ اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال:

يا بني عبدالمطلب إني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى إن ادعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟!

فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وإني لأحدثهم سناً أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال ﷺ «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» ثم قال علي: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب

قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع[1].

صحيح ان هذه الرواية تعتبر منقبة من مناقب امير المؤمنين عليه السلام وانها بحقه لكن محل الشاهد فيها هو ان ابا طالب والد الامام، لم يكن من المعترضين على ما جرى بل بالعكس، وجدناه يشد على يد إبنه علي في الوقوف تارة مع النبي واخرى يطلب من ابنه جعفر ان يصل جناح ابن عمه محمد صلى الله عليه وآله كما سيمر في الفصول اللاحقة وثالثة وجدناه كيف وقف مع ابن اخيه النبي صلى الله عليه وآله عندما حُوصر بالشعب من قبل قريش الكافرة، هذه المواقف وغيرها من المواقف الجهادية تحسب لأبي طالب وتسجل لصالحه لما كان يقوم به من دور اثناء عصر النبوة (أي بعد البعثة المباركة).

الشِّعب والصِّحيفة:

بعد ان استخدمت قريش الكافرة كل الطرق والسُبل في النيل من النبي صلى الله عليه وآله ووأد رسالته وما يرونه بالمقابل من انتشار سريع للإسلام وموقف صلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وعمه أبي طالب المحامي والمدافع عنه بيقين ثابت وإيمان راسخ، ولكي يحيط أبو طالب بالنبي ويبعده عن اذى الكفار عمد إلى جمع بني هاشم والمطلب وأمرهم ان يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وآله الشعب ويمنعوه،

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ط دار التراث بيروت ، بدون سنة طبع، ج٢ ص٣٠١٩ وكذلك الحلبي، السيرة الحلبية ج١ ص٤٠٦، ومن الجدير ذكره هنا قول الشيخ سليم البشري وهو من شيوخ الازهر السابقين في كتاب المراجعات لعبدالحسين شرف الدين المراجعة رقم ٢٣، إذ قال: راجعت هذا الحديث في ص١١١ من الجزء الاول من مسند الامام احمد، ونقبت عن رجال سنده، فإذا هم ثقات أثبات حجج، ثم بحثت عن سائر طرقه، فإذا هي متظافرة متناصرة يؤيد بعضها بعضاً، وبذلك امنت بثبوته.

ففعلوا، فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيئاَ واحداً لم يفترقوا حتى دخلوا معهم في الشعب، وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ولذا قال أبو طالب:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير اجلا[١]

ولم يرق لقريش الكافرة موقف أبي طالب هذا والخطوة الامنية التي قام بها، فأخذوا يجتمعون ويتحاورون فيما بينهم حتى توصلوا إلى ان يقوموا بحصار اقتصادي يجوعهم ويشل حركتهم فيما اعتقدوا به، فكتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على من في الشعب بأن لا ينكحوا منهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة ميثاقا على انفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر – ويقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فشلّ بعض أصابعه[٢].

وعندما صنعت قريش ذلك قال أبو طالب:

ألم تعلموا انّا وجدنا محمداً وان عليه في العباد محبةٌ
وان الذي الصقتم من كتابكم أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
نبياً كموسى خط في أول الكتب ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
يكون لكم يوماً كراغية السقب[٣] ويصبح من لم يجن ذنب كذي ذنب[٤]

---

(١)الحلبي، السيرة الحلبية ج١ ص٤٧٦ باب اجتماع المشركين على مناشدة بني هاشم وبني المطلب.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية: ج١ ص٣٢٥ باب خبر الصحيفة.

(٣) يشير بذلك إلى ناقة صالح، فالراغية من الرغاء، وهو صوت الأبل.

(٤) ابن هشام السيرة النبوية: ج١ص٣٢٧ باب شعر أبي طالب في قريش حين تظاهروا على الرسول ﷺ.

وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

وتم الحصار في هلال المحرم بعد سبع من السنين على البعثة.

وبالاضافة إلى ما ذكرنا من موقف أبي طالب عن الصحيفة فأنه بقى وصمد على ما كان به من تحدي ويؤكد لهم ان ابن اخيه محمد نبياً وهادياً، وهذا هو معنى إيمان أبي طالب الذي انكره الآخرون فاسمعه يقول:

يرجون منا خطة دون نيلها ... ضراب وطعن بالوشيج المقوم

يرجون ان نسخى بقتل محمد ... ولم تختضب سمر العوالي من الدم

كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا ... جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

وتقطع أرحام وتنسى حليلة ... حليلاً ويغشى محرم بعد محرم

على ما مضى من مقتكم وعقوقكم ... وغشيانكم في أمركم كل مأثم

وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر أتى من عند ذي العرش قيم

فلا تحسبونا مسلميه فمثله ... اذا كان في قوم فليس بمسلم(١)

وهكذا بقي الحال، الرسول ﷺ وعمه ومن معهم بالشعب في قمة التحدي والمشركون في قمة النذالة والسفاهة، والحصار مطبق عليهم من كل النواحي متبعين في ذلك كل الوسائل التي من شأنها ان تدمر المحاصرين معتقدين بأن ذلك سينهك قواهم وبالتالي يسلمون لهم النبي ﷺ خاصة وان الظروف التي مروا بها لا يمكن للانسانية ان تقرها بأية حال من الاحوال فجاء

---

(١)ابن ابي الحديد، شرح النهج: ج٣ ص٣١٦.

في الصحيح «انهم في الشعب جهدوا وكانوا يأكلون الخبط[1] وورق الشجر»[2]. وأبوطالب يصرخ فيهم متحدياً كل العواقب ومتحملاً كل الظروف فاسمعه يقول:

كـذبتم وبيـت الله نبـزى محمـداً ولمـا نطـاعن دونـه ونناضـل

ونـنـصره حتـى نـصرع دونـه ونـذهل عـن ابنائنـا والحلائـل

ويـنهض قـوم في الحديـد الـيكم نهوض الروايا مـن طريـق جلاجـل

بكـل فتـى مثـل الـشهاب سـميدع اخـي ثقـة عنـد الحفيظـة باسـل

وانـا وبيـت الله مـن جـد جـدنا لنلتبـسنَّ اسـيافنا بالامائـل

وابـيض يستـسقي الغـمام بوجهـه ثـمال اليتـامى عـصمة للارمـل

يلـوذ بـه الهـلاك مـن آل هاشـم فهـم عنـده في نعمـة وفواضـل

وميـزان صـدقٍ لا يخـيس شـعيرةً ووزان صـدقٍ وزنـه غـير نائـل

ألم تعلمـوا ان ابننـا لا مكـذب لـدينا ولا نعـب بقـول الا باطـل

لعمـري لقـد كلفـت وجـداً بأحمـد وأحببتـه حـب الحبيـب المواصـل

وجـدت بنفـسي دونـه فحميتـه ودافعـت عنـه بالـذرى والكواهـل

وايـده رب العبـاد بنـصره واظهـر دينـا حقـه غـير باطـل[3]

---

(١) الخبط: البقية من الماء واللبن والقطعة منه.

(٢)ابن هشام السيرة النبوية: ج١ ص٤٧٦ باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج: ج٣ ص٣٢٠.

وبعد مرور تلك الفترة (سنتان أو ثلاث) على ذلك الوضع المأساوي الذي عاشه النبي ﷺ وكيف ابلى أبو طالب وخديجة ذلك البلاء الحسن من تهيئة مؤونة وضروريات طوال فترة الحصار.

اراد الله ان يكشف الغم عن رسوله وأصحابه المرابطين في الشعب وبعد ان كشفت النوايا وثبت من ثبت وهاجر من هاجر، سلط الله سبحانه وتعالى حشرة الأرضة لتأكل ما كتبوا من حقد وبغضاء على تلك الصحيفة، وأوحى الله بذلك لنبيه ﷺ والرسول ﷺ مباشرة يخبر عمه قائلاً: يا عم ان ربي قد سلط الارضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله الاّ اثبتته فيها[1]، ونفذت منها الظلم والقطيعة والبهتان، فقال أبو طالب: والله لا يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش ومعه جماعة من بني هاشم: فخرجوا حتى اتوا المسجد على خوف من قريش ولما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ للقتل، فتكلم معهم أبو طالب، قال: جرت أمور بيننا وبينكم فآتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلح: (أي مخرج يكون سبباً للصلح، وإنما قال أبو طالب ذلك خشية ان ينظروا في الصحيفة قبل ان يأتوا بها، فآتوا بصحيفتهم، فوضعوها بينهم وقالوا لابي طالب ولمن معه: قد آن لكم ان ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى انفسكم، فقال أبو طالب: انما أتيتكم في أمر نصف بينا وبينكم (أي أمر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم، ان ابن اخي اخبرني، ولم يكذبني قط ان الله سلط على صحيفتكم التي

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٣٤٧، وقد خصص بابا اسماه اخبار رسول الله باكل الارضة للصحيفة.

كتبتم الارضَ فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم، وبقي كل ما ذكر به الله تعالى، وان صحيفتكم هذه صحيفة اثم، وقطيعة رحم.

ثم قال: ان كان الحديث كما يقول: افيقوا، وان لم ترجعوا، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وان كان الذي يقول باطلاً، دفعنا إليكم صاحبنا، فقالوا: قد رضينا بما تقول، ففتحوا الصحيفة، فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق المصدق ﷺ، فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب، قالوا: أي قال أكثرهم: هذا سحر ابن اخيك، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً(١).

وهنا قال أبو طالب: يا معشر قريش علام نُحصر ونُحبس وقد بان الامر، وتبين انكم أولى بالظلم والقطيعة والاساءة، بعدها دخلوا بين استار الكعبة وقالوا: اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب. ما هذه المحاجحة التي لاتفصح الا عن إيمان صادق، وثبات بوعد نصر آت، إذن هكذا كان أبو طالب يجابه الاعداء، وهذا هو والله صدق الإيمان والثبات عليه.

وما احدثه هذا الموقف في تلك المحاججة من تشتت وتصدع في موقف قريش الكافرة، فمنهم من ندم على موقفه ضد النبي وحزبه الذي هو حزب الله، وآخرون اعتبر موقفه هذا (بغي منا على اخواننا)، وآخرون وصفوا الموقف (بأنه ظلم لهم)، وفريق (قرر نقض الصحيفة وهذا العهد والانقلاب عليه)، وهم خمسة: هشام بن عمرو بن الحارث، زهير بن أمية ابن عاتكة عمة النبي ﷺ المُطعم بن عدي، أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود.

---

(١) هذا هو نص الحلبي في سيرته: ج١ ص٤٨٤-٤٨٥ باب الهجرة الثانية إلى الحبشة. فضلا عن ابن هشام في سيرته: ج١ ص٣٤٧ باب حديث نقض الصحيفة .

وقال أبو طالب في قصة الارضَ ولحسها الصحيفة:

وقد كـان مـن أمـر الـصحيفة عـبرة   متى ما يخـبر غائـب القـوم يعجـب

محـا الله منهـا كفـرهم وعقـوقهم   وما نقموا مـن نـاطق الحـق معـرب

وأصبح ما قـالوا مـن الامـر بـاطلاً   ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب[1]

ولم ينسَ أبو طالب الرجال الذين نقضوا الصحيفة، اذ قال مادحاً:

جزى الله رهطاً بالحجون[2] تبـايعوا   عـلى مـلأ يهـدي لحـزم ويرشـدُ

قعـوداً لـدى خطـم الحجـوم كـأنهم   مقاولـة[3] بـل هـم أَعـزّ وأمجـد

وهكذا استمر هؤلاء الخمسة في نقض الصحيفة وارتفعت الشدة وقلّ الحصار عن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأصحابه وعادوا إلى ما كانوا عليه قبل الحصار[4].

وهذا الدور لأبي طالب لا يمكن لعاقل أو متيقن بالله سبحانه تعالى ان يصادر هذا الموقف ويتهم صاحبه بالكفر والجحود؟!



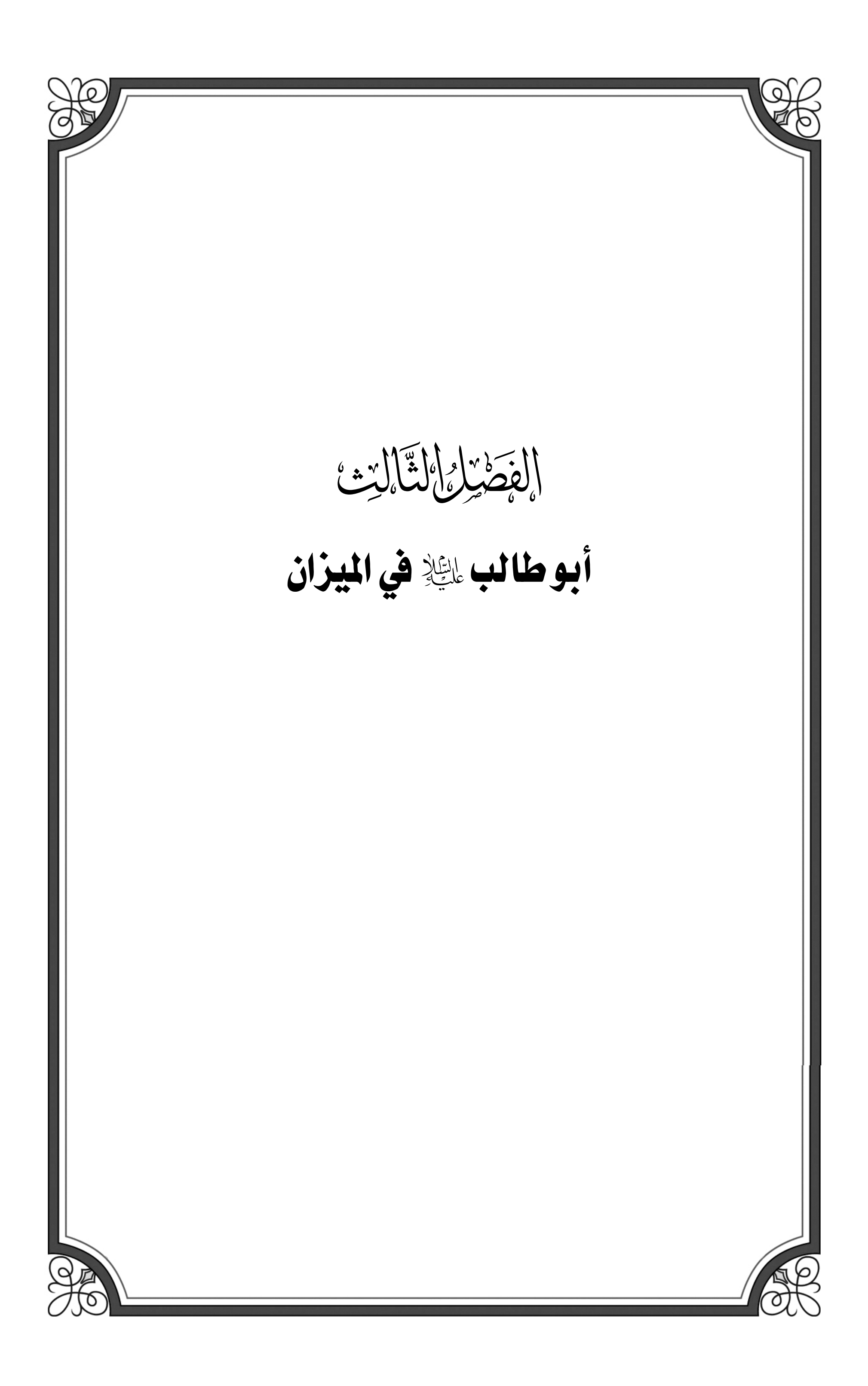
---

(١)ابن شهر آشوب، المناقب(السابق) ج١ ص٩٨.

(٢) اسم مكان في مكة ويقال اسم جبل.

(٣) المقاولة: الملوك: سيرة ابن هشام(السابق) ج١ص٣٤٩ باب شعر أبي طالب في مدح النفر الذين نقضوا الصحيفة.

(٤) كما هو مفصل في السير والتواريخ، فراجع.



الفصل الثالث

أبو طالب عليه السلام في الميزان

المبحث الأول

أصل الخلاف وأساسه

كيف نشأ الخلاف؟!

بعد استشهاد الامام علي عليه السلام وتسلط وانتزاء معاوية على مقدرات الامة رغم كرهها له وبعد صلحه المشروط مع الامام الحسن عليه السلام، ورغم عدم وفائه بالشروط، ولكي يستقيم الوضع معه، وتلين بعض المواقف الصلبة اتجاهه، ويحقق اهدافه الشخصية، لجأ معاوية إلى محاربة الإمام علي عليه السلام وأهل بيته فضلاً عن اتباعهم من الصحابة، أصحاب السوابق المشهودة في الاسلام، فجنّد من أجل ذلك مال المسلمين العام يوزعه دون أية ضابطة اسلامية، مع وعوده بتوزيع المناصب والهبات ، والتي يسيل لها لعاب المحدثين ، والخطباء والرواة قبل العامة من الناس، فتمكن من خلال هذه الاساليب ان يستأجر اشخاصاً لوضع الاحـاديث الكاذبة ضد الامـام علي عليه السلام وإخفـاء فضائله إلى ابعد ما يمكن الوصول اليه، وتحويل تفسير الآيات منه لغيره او بالعكس، حتى اصبحت هذه المهنة هي الرائجة في ذلك العصر بقيادة وتوجيه معاوية ابن آكلة

الاكباد[1]، فبدأ حملة سب ولعن الامام علي عليه السلام على المنابر، واذا بالخطباء مستجيبون، ليقوموا بلعن علي في كل كورة، وعلى كل منبر ويبرأوا منه، ويقعوا فيه وفي أهل بيته، حتى ان المنابر التي يُلعن عليها علي – عند ادنى مناسبة– لتربو على السبعين الف منبر[2].

اذا كان هذا هو حال الطبقة الواعية المثقفة في المجتمع فماذا يتوقع من العامة غير الاستجابة مرة والتصديق مرة اخرى، ومع هذا وذاك كان الترهيب

---

(١) يذكر أهل السيرة الرواية التالية عن هند، وما قامت به من افعال بجسد الشهيد حمزة عم النبي (رضوان الله عليه) وبقية شهداء المسلمين، «ثم ان هند زوجة ابي سفيان ـ ام معاوية ـ ومعها النسوة اللاتي خرجن معها يقطعن الآذان، والانف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خرماً (وهي الخلخال) وقلائد وبقرت (أي شقت) هند بطن سيدنا حمزة (رض) وأخرجت كبده، فلاكتها (أي مضغتها) فلم تستطع ان تستسيغها (أي تبتلعها) فلفضتها (أي القتها من فيها)، ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وآله انها أخرجت كبد حمزة، قال صلى الله عليه وآله: هل أكلت منه شيئاً؟! قالوا: لا، قال صلى الله عليه وآله: ان الله قد حرّم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً ابداً أي لو اكلت منه، أي استقر في جوفها لم تمسها النار، وهنا قالت هند في ذلك شعراً: شفيت من حمزة نفسي بأُحدٍ حين بقرتُ بطنه عن الكبدِ.

وتذكر الكتب ايضاً: «ان ابا سفيان قام بنفسه يضرب بزج الرمح شدق حمزة بن عبد المطلب ويقول ذُقْ، قال الحُليس (وهو سيد الاحابيش: با بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون، وهو لحماً (أي ميتاً): فقال: ويحك اكتمها عني، هذه نصوص سيرة ابن هشام(السابق) ج٢ص٨١، باب هند وتمثيلها بحمزة ـ اما الحلبي فانه ذكر مثل ذلك لكن بدون شعر هند، الا انه زاد في عمل هند قائلاً: «ان هند قطعت لحمزة مذاكيره، وجدعت انفه، وقطعت اذنيه، ثم جعلت ذلك كالسوار في يديها، وقلائد في عنقها، السيرة الحلبية(السابق) ج٢ ص٣٣١ باب ذكر مغازيه غزوة بدر الكبرى.

(٢)ابن ابي الحديد شرح النهج(السابق) مج٣ ص١٥.

والترغيب من قبل معاوية لهؤلاء البسطاء من العامة والسذج من ذوي العقول المتحجرة: فيكتب إلى عماله «ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب وأهله، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في ابي تراب الاّ واتوني بمناقض له». او قوله «لا تجيزوا لأحد من شيعة علي واهل بيته شهادة» ولا ينتهي الحدّ به عند هذا بل يصدر تعليماته قائلاً: «انظروا إلى من قامت عليه البينة انه يحب علياً واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه»[1]. ولا يكتفي معاوية بهذا الحصار الاقتصادي الجائر والظُلم السافر حتى يلحق كتبه السابقة بآخر يقول فيه: «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به واهدموا داره»[2]، وبعد تفنن معاوية في تلك الاساليب الدنيئة وسيطرته على عقول الناس، أصبح من السهل عليه شراء ذممهم وجعلهم يطبلون له، حتى وصل إلى مرحلة ان يذيع بين أهل الشام مثلاً بان علياً كان لا يصلي، وانه مريق دم عثمان بن عفان وانه، وانه إلى غير ذلك من التهم الباطلة والكاذبة، وعندما لم يجد من ينكر له كل هذه الاباطيل فانه توغل في غيه ومنكره.

الى غير ما سبق ذكره من حوادث سجلها لنا التاريخ، وكيف اشترى معاوية ذمم وضمائر هؤلاء إن كانت اصلاً لديهم انسانية.

فقد استأجر معاوية اشخاصاً لوضع الاحاديث الكاذبة المُضلة ضد الإمام علي عليه السلام واخفاء فضائله، وتحويل تفسير الآيات القرآنية منه لغيره او بالعكس حتى اصبحت هذه المهنة هي المنتشرة والسائدة في ذلك العصر من عهد المتسلط

---

(١) الهامش السابق ص١٦.

(٢)نفسه.

بن هند آكلة الاكباد والتي مرّ ذكرها قبل قليل.

وعن ذلك العصر يقول ابن عرفة المعروف بـ(نفطويه)، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، يقول «ان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضل الصحابة افتعلت في ايام بني امية تقرباً اليهم بما يظنون انهم يرغمون به انوف بني هاشم»[1].

واصبح في ذلك العصر «ان الرجل ليقال له زنديق او كافر احب إليه من ان يقال من شيعة علي عليه السلام»[2].

وعن كره معاوية للإمام علي عليه السلام يذكر الحلبي:

«عندما ولد لعبد الله بن عباس ولد، فزاره الامام علي عليه السلام في البيت فهنأه فقال علي: ما سميته؟! قال ابن عباس: او يجوز لي ان اسميه، حتى تسميه انت: فامر به، فأُخرج اليه، فاخذه، فحنكه، ودعا له ثم رده اليه، فقال: خذ اليك، قد سميته علياً، وكنيته ابا الحسن، فلما ولي معاوية الخلافة، قال لابن عباس: ليس لكم اسمه ولا كنيته، يعني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كراهة في ذلك، وقد كنيته ابا محمد، فجرت عليه، وينقل الحلبي ايضاً، ان علياً المذكور قدم على عبد الملك بن مروان قال له: غيّر اسمك علي، أو كنيتك أبو الحسن، وانما قال عبد الملك ذلك كراهة في اسم علي بن أبي طالب وكنيته[3].

وكي اختم هذا الموضوع، وحتى لا يطول اكثر أضع النقاط على الحروف

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٣ ص١٦.

(٢) الهامش السابق ص١٥.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية (السابق) ج١ ص٩٧ باب وفاة والده صلى الله عليه وآله.

واسمي الأشياء بمسمياتها اذكر الرواية التالية خاصة وان الاسماء المذكورة فيها سوف يستشهد بها في المواضيع اللاحقة.

فعندما بدأ الإمام الحسن يتجهز إلى المدينة، اجتمع إلى معاوية رهط من أصحابه منهم: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة (اخو عثمان لأمه) وعتبة، وقد طلبوا لمعاوية ان يحضر الحسن على سبيل الزيارة، لنخجله قبل مسيره إلى المدينة، فنهاهم معاوية وقال: انه ألسن بني هاشم، فالحوا عليه، فلما حضر الامام الحسن عليه السلام تناولوا علياً عليه السلام والحسن عليه السلام ساكت، فلما فرغوا: حمد الحسن الله واثنى عليه وصلى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وقال: ان الذي اشرتم إليه قد صلى إلى القبلتين وبايع البيعتين، وانتم بالجميع مشركون، وبما انزل الله على نبيه كافرون، انه حرم على نفسه الشهوات وامتنع من اللذات، حتى انزل الله فيه ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ**﴾ وانت يا معاوية ممن قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: اللهم لا تشبعه او لا اشبع الله بطنك (اخرجه مسلم عن ابن عباس).

وبات امير المؤمنين يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله من المشركين، فداه بنفسه ليلة الهجرة حتى انزل الله ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ**﴾. وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى وانت اخي في الدنيا والآخرة.

وانت يا معاوية نظر النبي صلى الله عليه وآله اليك يوم الاحزاب، فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله واخوك يقود الجمل وانت تسوقه فقال صلى الله عليه وآله: لعن الله الراكب والقائد والسائق، وما قابله أبوك في موطن إلا ولعنه، وكنت معه ولاك عمر الشام فخنته، ثم ولاك عثمان فتربصت عليه وانت الذي كنت تنهى اباك عن الاسلام حتى قلت مخاطباً له:

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركنن إلى أمر تقلدنا والراقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر، وأحد، والخندق، والمشاهد كلها تقاتل رسول الله ﷺ وقد علمت المسلمين الفراش الذي ولدت عليه[1].

ثم التفت إلى عمرو بن العاص، وقال اما انت يا ابن[2] النابغة فادعاك خمسة من قريش غلب عليك ألأمهم (من اللؤم) وهو العاص وولدت على فراش مشرك وفيك نزل﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾وكنت عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين وكنت اضرّ عليهم من كل مشرك، وانت القائل :

ولا انثني عن بنو هاشم بما اصطعت في الغيب والمحضر
وعن عايب اللات لا انثني ولولا رضى اللات لم تمطرِ

وأمّا أنت يا وليد فلا ألومك عن بغض أمير المؤمنين، فانه قتل اباك صبراً وجلدك في الخمر لما صليت بالمسلمين الفجر سكراناً، وقلت أزيدكم، وسماك الله في كتابه فاسقاً وسمى امير المؤمنين علي مؤمنا بقوله: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ** ﴾ وأما انت يا عتبة، فلا ألومك في أمير المؤمنين، فإنه قتل اباك يوم بدر واشترك في دم ابن عمك شيبة، وهلا انكرت من غلب على فراشك

(١) باعتبار ان معاوية ولد من اربعة رجال من قريش هم عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، مسافر بن ابي عمر، أبو سفيان، والعباس بن عبد المطلب ولك ايها القارئ الكريم مراجعة القصة كاملة في مصدر الرواية في تذكرة الخواص لابن الجوزي(السابق) ص١٨٤، وغيرها من كتب التاريخ والسير فتأمل، فهؤلاء كانوا ندماء ابي سفيان وكل منهم يتهم بهند.

(٢) سبق ذكر عمرو بن العاص في موضوع الشعب والصحيفة من كتابنا هذا فراجع.

ووجدته نائماً مع عرسك ثم نفض الحسن ثوبه، وقام، فقال معاوية:

أمــرتكم أمــراً فلــم تــسمعوا لــه   وقلــت لكــم لا تبعــثن إلى الحــسن
فجـــاء ورب الراقـــصات عـــشية   بركبانهـــا يهـــوين مـــن سرة الـــيمن
أخـاف علـيكم منـه طـول لـسانه   وبعـد مـداه حـين اجـراه الرســن
فلـما أبيـتم كنـت فـيكم كبعـضكم   وكان خطـابي فيـه غبنـاً مـن الغـبن
فحـــسبكم مـــا قـــال مما علمـــتم   وحسبي بما القاه في القبر والكفن[1]

فكان موقف الامام الحسن عليه السلام هذا والله الحجة القاطعة والشجاعة العلوية، فاين الثرى من الثريا وهلا يتعظ اتباع هؤلاء ونحن نعيش عصر العولمة ويتركوا المؤمنين بإيمانهم، ويسيروا هم بطغيانهم يعمهون، يعرفون الحق ويحرفونه، لكنهم ابوا الا ان يكونوا (القوم ابناء القوم)، والا ما الذي يضرهم في كون أبي طالب رجل مؤمن وهذه هي حقيقته لكن انى لهم ذلك وتلك كانت خطى أئمتهم وسنتهم التي سنوها لهم ومنها انطلقوا في محاربة علي عليه السلام وأهل بيته واتباعهم إلى يومنا هذا، واذا كان يزيد بن معاوية قد أمر بقتل الامام الحسين عليه السلام في كربلاء فإن اباه معاوية قد قتل الامام الحسن عليه السلام فينقل عن استشهاد الامام الحسن (ان معاوية دس إليه السم على يد جعدة بنت الاشعث بن قيس زوجة الحسن عليه السلام، وقال لها: ان قتلتيه بالسم فلك مائة الف وأزوجك يزيد ابني، فلما مات الحسن عليه السلام وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد»[2].

ويلخص أهل التاريخ حياة معاوية بالاسطر الآتية: إذ ينقل ابن الاثير عن

---

(١)سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص(السابق) ص١٨٤.

(٢)ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٢ ص١٧.

الحسن البصري انه قال: «اربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه الا خصلة واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الامة بالسيف، حتى اخذ الامر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيراً خميراً وإدعاؤه زياداً، وقتله حجر بن عدي وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر، يا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر»[1].

هذا باختصار شديد حياة وتاريخ معاوية، فماذا يتوقع من هكذا رجل ان يكون موقفه من الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وبالتالي من أبيه ابي طالب.

ومن الجدير ذكره هنا، لو كان أبو طالب كافراً كما يزعمون، لما خُرس معاوية واصحابه عن الحسن عليه السلام وهو يعيرهم بأنسابهم او لما سكت معاوية نفسه عن علي عليه السلام بجواب علي عليه السلام إليه كما سيمر بعد قليل، ولَمَا تاخر معاوية في وصف أبي طالب بالكفر ودخول النار عندما قال لعقيل ابن ابي طالب، وهو يحاوره ذات مرة، اين ترى عمك ابا لهب من النار ؟ ولم يقل له اين اباك مثلا، كما عرفنا سابقا[2]، وهذا دليل واعتقاد من معاوية بإيمان أبي طالب وانه بعيد كل البعد عن النار، كونه مسلما، وهذه حقيقة تاريخية مسطرة في كتب التاريخ والسنة، وعند المخالفين منهم، ولا يمكن تجاهلها والقفز عليها.

***

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط دار الفكر بيروت بدون سنة طبع، ج٢ ص٢٤٢ حوادث سنة ٥١ هـ وكذلك تاريخ الطبري في حوادث السنة نفسها.

(٢) ذكرنا ذلك في الفصل الأول، المبحث الثاني من كتابنا هذا، عند ذكر اولاده.

المبحث الثاني

لماذا استهداف أبو طالب؟!

أبو طالب وسبب استهدافه:

مثلما ذكرت في مقدمة كتابي هذا، فان هناك كثيراً من رجالات قريش ممن ادرك الرسول الكريم ﷺ وعاصره، وصاحبه، ورحل وهو كافر، بل هناك من قاتل في احدى معارك النبي ﷺ ضد المشركين وكان لهم اولاد واحفاد، ولم نرَ من نفض الغبار عنهم، لا من بعيد ولا من قريب، وقولهم في هذا ان الاسلام يجبّ ما قبله.

وبعد ان بيّنا في الفصلين السابقين من هذا الكتاب (على اقل تقدير) الدور الذي اضطلع به أبو طالب، وإلا فهناك عشرات المؤلفات والدراسات التي تبين كيف كان أبو طالب حامياً ومدافعاً عن النبي ﷺ وداعية مشهوداً لرسالة ابن أخيه ﷺ السماوية الخالدة.

فبعد كل هذا وغيره، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هنا وبقوة هو لماذا يُطعن ويشك في إيمان ابي طالب؟! بل لماذا يكفر هذا الرجل، ويعتبر خارجا عن

الملة والدين، ويضعونه في الدرك الاسفل من النار (كما سنبين ذلك لاحقاً).

ومن خلال مراجعة بسيطة وعابرة لسيرة المناوئين للامام علي عليه السلام واهل بيته الكرام، نتوصل إلى ان استهداف أبي طالب والنيل منه، ما هو الا الطريق الأقصر الذي يوصلهم ـ بحسب ظنهم ـ للنيل من علي عليه السلام شخصياً، وعلي عليه السلام هو الذي ضرب خراطيم القوم حتى قالوا لا اله الا الله وان محمداً رسول الله، وكان الولد على سرّ ابيه، وان علياً هو القائل لمعاوية «واما طلبك اليّ الشام، فأني لم أكن لاعطيك اليوم، ما منعتك أمسِ، اما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أُمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق[1]، ولا الصريح[2] كاللصيق ولا المـُحق كالمُبطل ولا المؤمن كالمُذعل (المفسد)، وبئس الخلق خلق يتبع سلفاً هو في نار جهنم، وفي ايدينا بعدُ فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز وانعشنا بها الذليل، ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً، وأسلمت له هذه الامة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين: اما رغبة: واما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ...»[3].

ومثلما ذكرنا في المبحث الاول من هذا الفصل ، كيف وضع الامام

---

(١) الطليق الذي أُسر فأطلق بالمن عليه أو لفدية عنه، وابو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم فتح مكة!!

(٢) الصريح: صحيح النسب في ذوي الحسب (ومعاوية كما مر ذكره قبل قليل لا يعرف من هو ابيه الحقيقي).

(٣) من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب معاوية إليه، نهج البلاغة ابي الحديد (السابق)، ج٣ ص٤٢٩، وكذلك في كتاب وقعة صفين لنصر ابن مزاحم، بيروت ١٩٢٠ ص٣٤٦.

الحسن عليه السلام النقاط على الحروف، وسماها وبينها في ديوان معاوية نفسه، رأينا هنا كيف يضع الامام علي عليه السلام معاوية بوضعه الطبيعي وحجمه الحقيقي، وفضلاً عن إدراك معاوية واتباعه هذه الحقيقة المُرة فإنهم في الوقت نفسه لا يستطيعون القفز على هذه الحقيقة، وينكرون بغضهم لعلي وحقدهم على أهل بيته، وانه قديماً منذ جاهليتهم الاولى، وكفرهم الأزلي والذي وقف علي ضده بسيفه، فإنهم استمروا على هذا النهج إلى يومنا هذا لهذا نجدهم: يجهزون على عليّ واتباعه في كل عصر ومصر ومتى ما سنحت لهم الفرصة بذلك فضلاً عن ادراكهم حقيقة ان نفس رسول الله صلى الله عليه وآله هي نفس علي عليه السلام بنص القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ [1]، فالنيل منه عليه السلام هو نيل من رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي النتيجة هو نيل من الاسلام، ومن هنا تتبين لنا استمرارية كفرهم وغيهم مثلما قلنا من الجاهلية الاولى وحتى يومنا هذا.

والا وكما بينا في بداية هذا الفصل، كيف جيش معاوية الجيوش وصرف الاموال الطائلة لشراء الذمم والنيل من علي عليه السلام خاصة وانهم يدركون جيداً منزلة ابن أبي طالب في الاسلام، ولا أحد يشك فيها رغم انوفهم ومقولة رسول الله صلى الله عليه وآله، بحقه يوم مبارزته لعمرو بن ود عندما قال صلى الله عليه وآله: «خرج الإيمان كله، للشرك كله» [2]، لا زالت هذه المقولة في مسامعهم ولما كان من المستحيل خرقهم للنواميس والقوانين الطبيعية للحياة وانه في النهاية لا يصح الا الصحيح، ولا يمكن لسحابة باطل عابرة ان تحجب شمس الحق المشرقة دوماً وابداً.

---

(١) ذكرنا مصادر ذلك في الفصل الاول، المبحث الثاني من كتابنا هذا.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج (السابق) مج٣ ص٢٨٢.

ومع ادراكهم لهذه الحقيقة التي تضاف إلى الحقائق السابقة والتي مر ذكرها وفضلاً عن هذا فلا يمنعهم ذلك من شن الحملات بين الحين والآخر على من ينادي بنهج علي وأهل بيته، فتبقى ضغائنهم وغرائزهم العدوانية الشريرة تظهر للعيان في اقرب فرصة ممكنة لديهم وتأسيساً على ما مضى، ولما كان غريمهم الأول علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يبقَ الاّ النيل من والده أبي طالب لعلهم يتقربون زُلفى لأسيادهم وأئمتهم ممن هم على خط معاوية ونهجه ومن تبعه منذ ذلك الوقت والى يومنا هذا.

فمن هذا كله وبناءً على ما مرّ ذكره، يتضح لنا إن السبب في تكفير أبي طالب ليس هو الهدف المنشود لهؤلاء، وانما هو الوسيلة للنيل من علي عليه السلام وأهل بيته الكرام، وأخيراً اتباعهم في الوقت الحاضر على أقل تقدير.

وفي هذا الصدد يروي البخاري في صحيحه عن ابي هريرة قوله: «حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعائين، فأما احدهما فبثثته، واما الآخر، فلو بثثته لقطع هذا البلعوم»[1].

وهذا يعني ان ابا هريرة عمل على بث ذلك الوعاء لكي يرضي فيه الحكام من بني أمية، اما الثاني الذي يحمل فيه الحق فإنه امتنع عن بثه ولهذا كان يقال لابي هريرة:

يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

فانه يقول: لا، هذا من كيس ابي هريرة[2]!!

---

(١) البخاري، صحيح (السابق) ص٣٤ كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١٢٠.

(٢) البخاري(السابق) ص٩٨٠ كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال ح٥٣٥٥.

ومن هذا الكيس روى أبو هريرة ما يرضي اهواء الامويين في النيل من علي عليه السلام واهل بيته الكرام.

وابو هريرة ما هو الاّ نموذجاً واحداً من آلاف النماذج التي شوهت الحقيقة ووقفت مع الباطل ولّمعته.

وقد اعرضت عن ذكر الكثير من هذه النماذج، كي لا يطول الموضوع اكثر، وانما كانت تلك اشارة بسيطة، وأركنت الباقي للتاريخ والضمير الانساني الحيّ، خاصة وإني شخصياً اعتبر المقارنة بين أمية ومن لف لفهم من طرف وبني هاشم من طرف آخر هي من المفارقات الكبرى، والا اين الثرى من الثريا، واين نجد الحصى الناعم امام الجبل الاشم، اين الحق من الباطل، اين علي والحسين وابي طالب، واين معاوية ويزيد وابي سفيان، فإنا لله وانا إليه راجعون.

***

المبحث الثالث

أدلة مكفري أبي طالب

بعد ان عرفنا السبب من وراء تكفير اتباع سنة معاوية لابي طالب وانا اضع هذا العنوان، كنت متحيراً بماذا اسمي هذا المحور، لانه لا يوجد دليل على هذا الدليل اصلاً، وكل ما في الموضوع هو حديث واحد، وضعه الوضاعون الحاقدون على شخص امير المؤمنين علي عليه السلام، وقد تناقلته كتبهم وصحاحهم ورددتها ألسنتهم كالببغاء!!

وهذا (الدليل) هو الوحيد لديهم، وهو حديث واحد تناقلوه بصور عدة، عُرف هذا النص بحديث الضحضاح.

نص الحديث:

سنكتفي بذكر نص الحديث، كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم لان هذين الصحيحين كما يعتقد أهل السنة انهما اصح الكتب بعد القرآن هذا من جهة، ومن ناحية اخرى ان جميع المصادر السنية الاخرى عندما تذكر حديث الضحضاح انما تنقله من هذين الصحيحين ولهذا اكتفينا بما جاء فيهما:

اولاً: نص البخاري:

أ- حدثنا عبد الله بن خباب عن ابي سعيد الخدري، ان رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال ﷺ: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه(١).

ب- حدثنا يحيى بن سفيان، حدثنا عبد الملك، حدثنا عبد الله بن الحارث، حدثنا العباس بن عبد المطلب، قال للنبي ﷺ: ما اغنيت عن عمك؟ فإنه كان يوحطك، ويغضب لك، قال ﷺ: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار(٢).

ثانياً: نص صحيح مسلم:

أ- عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحارث، قال: سمعت العباس يقول: يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟

قال ﷺ نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح(٣).

ب- حدثنا حمّاد بن سلمة، حدثنا ثابت بن ابي عثمان النهدي عن ابن عباس: ان رسول الله ﷺ قال: اهون أهل النار عذاباً ... أبو طالب، وهو منتعل بنعلين: يغلي منهما دماغه(٤).

---

(١) البخاري(السابق) ص٦٨٢ كتاب مناقب الانصار، باب قصة أبي طالب حديث رقم ٣٨٨٥.

(٢) الهامش المتقدم ص٦٨١ حديث رقم ٣٨٨٣.

(٣) مسلم ، صحيح ط ٢ دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣ ص١٠١ كتاب الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لابي طالب ح رقم ٣٥٨.

(٤) الهامش السابق ص١٠٢ حديث رقم ٣٦٢.

فضلاً عن نصوص اخرى ذكرت في هذين الصحيحين، أعرضنا عن ذكرها لانها تدور حول محور واحد، هو الكيفية التي يوضع فيها أبو طالب في النار وكيف يُعذب!

وقبل ان نتعرف على مدى صدقية رجال (رواة) الاحاديث، لو نظرنا نظرة عابرة على متون الحديث، وهي مروية كما نقلناها في اصح كتب أهل السنة بعد القرآن الكريم، كما يدعون، لوجدنا الارتباك واضحاً: فتارة يقرون وجود الضحضاح من النار بقولهم «فأخرجته إلى ضحضاح».

وتارة اخرى كما في الحديث المنسوب لابي سعيد الخدري، قوله «لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من نار.. أي ان الضحضاح بعدُ لم يوجد بدلالة (فيُجعل) فهو بعدُ لم يجهز لابي طالب!! ونص القرآن يقول ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾ فاطر/ ٣٦ وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الله وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ (البقرة/ ١٦١-١٦٢).

اذا كان هذا هو منطق القرآن الكريم، فكيف يمكن للكافر ان يُعامل بهذا التسامح؟! ثم اذا كان أبو طالب كفره ثابت عندهم، فلماذا يكون اهون أهل العذاب، واذا كان مؤمناً حقّاً، فلماذا لا يكون نصيبه دخول الجنة، او على الاقل ان تكون شفاعة ابن اخيه ﷺ فيه تامة جزاءً له عن تربيته وكفالته له ﷺ لا شفاعة ناقصة، والعياذ بالله من هذا القول.

ومن الجدير ذكره ايضاً، ولكي يعطوا لحديثهم صدقية، وتضفي عليه شرعية اكثر تجدهم اسندوا الحديث إلى العباس وهو (اخ لابي طالب) تارة، وأخرى لابنه عبد الله (بإعتباره حبر الامة) معتقدين بأنهم مثلما لبّوا رغبات

معاوية وارضوه انهم قادرون على تمرير هذه الفرية على بقية الناس.

ومن التضارب غير الخفي على اللبيب في اقوالهم كيف شاهد راوي الصحيح ان ابا طالب كان منتعلا بنعلين ولماذا لم تحترق نعلاه، خاصة وان النار صعدت إلى أُم رأسه حتى سال دماغه منه؟! أم أنها الشفاعة الخاصة بوالد علي بن ابي طالب؟!

واين هؤلاء من قول امام وسيد البلغاء علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة، اذ يقول عليه السلام: «ان الله سبحانه يُدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنّة».

فهل هنالك أصدق نية، واصفى سريرة من أبي طالب وما سلكه مع ابن اخيه النبي صلى الله عليه وآله؟!

واين هؤلاء من قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة/ ٢٥٧) أي ان الكافر يخرج من النور إلى الظلمة لا العكس كما هو حال أبي طالب بحسب قولهم. فما دهى هؤلاء القوم؟!

صدقية الرواة:

بعد ان عرفنا مدى التخبط في نصوص هذا الحديث، وكيف انها بدت مرتبكة غير متماسكة، بقي ان نتعرف على هؤلاء الرواة ونقف على مدى مصداقيتهم، ومكانتهم بين وعند أهل الحديث ورجاله:

فعبد الملك بن عمير: يقول فيه الامام احمد بن حنبل، وانه مضطرب الحديث، وقال ابن معين مخلط، وقال أبو حاتم: ليس بحافظ، تغير حفظه، وذكر

الكوسج عن أحمد انه ضعّفه جداً[١].

اما عبد الله بن خباب، هو: المدني مولى النجار، روى عنه أبو سعيد الخدري يقول الذهبي فيه: سألت عنه، فلم أرهم يقفون على حده ومعرفته وقال الجوزجاني عنه: لا يعرفونه[٢].

اما أبو عثمان النهدي، فقيل عنه: ليس ممن يُعرف[٣].

وعن حمّاد بن سلمة فقيل عنه : له أوهام، وقال ابن المديني: كان عند يحيى بن الضُريس عن حماد عشرة الآف او اكثر، وقال عمرو بن سلمة: كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر الفاً[٤]. ما هذه الكثرة؟! إذا كان عند اثنين فقط عشرة ألف أو أكثر، فكم يكون عند غيرهما، وماذا تحوي هذه الأحاديث من كذب وافتراء.

اقول: إذا كان هؤلاء هم رواة الصحاح: فهل لأحد ان يحتج بهم وبصحاحهم تلك؟! علماً بأن الشيخين يرويان عن هؤلاء وغيرهم اكثر من عشرين حديثاً عن أبي طالب والضحضاح!! ويبرز من بين هؤلاء الرواة ايضاً والذين وقفت على ترجمتهم، ولم انقل نصوصهم لانها شبه مكررة:

١ – عمر بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي: فرض له معاوية العطاء ثلاثمائة في الشهر، شاخ ونسى، وقد تغير حفظه قليلاً[٥]. يكفي في سيرة هذا الرجل

---

(١)الذهبي ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد الباوي، دار احياء الكتب العربية ج٢ ص٦٦٠.

(٢) نفسه ج٢ ص٤١٢.

(٣) المتقدم نفسه ج٣ ص٢٧٠.

(٤) المتقدم نفسه ج١ ص٥٩١.

(٥) الذهبي، ميزان الاعتدال (السابق) ج٣ ص٢٧٠.

(الراوي) انه كان يتقبل الاموال من معاوية مقابل ان يروي احاديثاً مفتعلة ضد الامام علي.

٢- سفيان بن عُينية، كان يُدس، وعن يحيى بن سعيد الغطان قال: اشهد ان سفيان بن عينية اختلط عليه، فمن سمع منه فسماعه لا شيء(١).

٣- إلى هنا تركت البحث في هؤلاء الرواة لاني ومن خلال التحقيق والبحث في حديث الضحضاح وجدت ان اصل هذا الحديث ومفتعلة الاول هو المغيره بن شعبة، وانه وضعه نكاية بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب، ويكفي في بطلان هذا الحديث وتكذيبه وجود هذا الشخص فيه فضلاً عما تقدم من رواة. وقد جاء في ترجمة المغيره هذا: هو المغيرة بن شعبه بن ابي عامر بن مسعود بن مصعب بن مالك بن عمرو بن قيس بن شيبة بن ابي بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمه بن خصفه بن قيس.

وانه مشهور بالزنا والفسوق، كان اميراً للكوفة(٢).

شهرة المغيرة بن شعبة:

لعل ما فعله المغيرة بن شعبة بأم جميل بنت عمرو (إمرأة من قيس) يعتبر من أشهر الوقائع التاريخية المخجلة والتي حدثت سنة ١٧ هـ، إذ لا يخلو أي كتاب يشتمل على حوادث تلك السنة من سرد تلك الحادثة وفيما يلي مختصر لتلك الرواية:

---

(١) نفسه ص١٧١.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (السابق) ج٣ ص٥٠٥-٥١١ كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب المغيرة بن شعبة.

لقد شهد على المغيرة كل من ابي بكرة، وهو معدود من فضلاء الصحابة وحملة الآثار النبوية، ونافع بن الحارث وهو صحابي ايضاً، وشبل بن معبد وكانت شهادة هؤلاء الثلاثة صريحة فصيحة، بأنهم شاهدوا المغيرة يولجه فيها ايلاج الميل في المكحلة، لا يكنون ولا يحتشمون، ولما جاء الرابع وهو زياد بن سُمية ليشهد إذ انه كان غائباً عن الثلاثة عندما شهدوا، أفهمه الخليفة عمر رغبته في ان لا يخزي المغيرة، ثم سأله عما رآه، فقال زياد: رأيت مجلساً وسمعت نفساً حثيثاً وانتهازاً، ورأيته مستبطناً، فقال عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ قال: لا، لكن رأيته رافعاً رجليها فرأيت خصيتين تتردد إلى مابين فخذيها، ورأيت حفزاً شديداً (لا ادري ماذا يريد الخليفة بعد حتى يحكم) فقال عمر: الله اكبر قم يا مغيرة اليهم فاضربهم (سبحان الله من عدالة هذا الحكم)[1].

مات المغيرة بالكوفة سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة في خلافة معاوية وعن عبد الرحمن بن سعيد الكندي قال: شهدنا جنازة المغيرة بن شعبة فلما دلي في حفرته، وقف عليها رجل، فقال: من هذا المرموس؟ فقلت أمير الكوفة المغيرة بن شعبة، فوالله ما لبث ان قال:

---

(١) هذا ملخص للحادثة كما جاءت مفصلة في تاريخ الطبري(السابق) ج٤ ص١٧١ من احداث سنة ١٧هـ، والمستدرك على الصحيحين(السابق) ج٣ ص٥٠٥ ذكر مناقب المغيرة.

ارســـم ديـــار بـــالمغيرة تعـــرف عليـــه روابي الجـــن والانـــس تعـــرف
فـان كنـت قـد أبقيـت هامـان بعـدما وفرعون فاعلم ان ذا العرش ينـصف(١)

لقد كانت لنا هذه الوقفة مع المغيرة كي نطلع القارئ اللبيب على بطلان فريته في افتعال حديث الضحضاح من جهة، وكيف كان الشيخان البخاري ومسلم يرويان عنه باعتباره صحابيا جليلا!! ويتركون أهل البيت عليهم السلام وهم النبع الصافي من جهة اخرى.

معنى الضحضاح:

وللاحاطة بموضوع وحديث الضحضاح هذا اكثر، بقي علينا ان نتعرف على معنى هذه الكلمة لغوياً:

فعند مراجعتها في معاجم اللغة، وجدنا ان معنى هذه الكلمة بعيد كل البعد عن مقصود النار وعذابها: فأهل اللغة يقولون معناها:

الضحضحُ والضحضاح: الماء القليل، يكون في الغدير وغيره والضحل مثله، وكذلك المتضحضح.

وقيل هو الماء اليسير، وقيل هو ما لا غرق فيه ولا له غمر، وقيل هو الماء اليسير، وقيل هو ما لا غرق فيه ولا له غمر، وقيل هو الماء إلى الكعبين إلى انصاف السوق قال الأصمعي: هو الماء القليل على كل حال(٢).

---

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين(السابق)ج٣ص٥٠٥، وكانت ولايته للكوفة سبع سنين، وبعده ضم الكوفة معاوية إلى زياد

(٢)ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر احمد حيدر ط ١ بيروت ٢٠٠٥، ج٢ ص٣٠٢-٣٠٣.

إذن معنى الضحضاح: هو الماء القليل غير المُغرق، فكيف بهؤلاء الرواة ينسبون لمن هو سيد البُلغاء وابو العربية، وخير من نطق بالضاد نبينا محمد ﷺ ان يتفوه بهذا القول، ويعتبر الماء ناراً، أو العكس، وهو ﷺ المخاطب بقوله تعالى ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1]، ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم / ٤)، وقوله ﷺ على لسان جبرائيل «﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾[2]، فهل يعقل ان يكون شخص بهذه المنزلة، وتلك المكانة الربانية والعصمة السماوية، ان يخونه التعبير إلى هذه الدرجة، بحيث يعتبر الماء القليل ناراً أو العكس، فإنا لله وانا إليه راجعون.

***

(١) النجم الآية٣-٤.

(٢) الشعراء الآية١٢٥.

المبحث الرابع

عرض حديث الضحضاح وسيرة أبي طالب مع النبي صلى الله عليه وآله والقرآن والسنة

عرض الحديث وسيرة أبي طالب على القرآن:

بعد ان عرفنا حديث الضحضاح، وإنه حديث موضوع الهدف منه الطعن في شخص الامام علي عليه السلام، وذلك عن طريق الايقاع بوالده أبي طالب واعتباره رجلاً كافراً لا يستحق الا النار.

وكي نقيّم هذا الأسلوب والقول الذي نُسّب زوراً وبهتاناً للرسول الكريم صلى الله عليه وآله لا بد من عرضه ومعه مسيرة أبي طالب مع ابن اخيه صلى الله عليه وآله على القرآن للأخذ بهذا الحديث أو ضربه عرض الجدار، خاصة وان القرآن الكريم وكما يصفه سيد البلغاء الامام علي عليه السلام بانه (وفي القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم)[1] او كما يقول المفسرون بأنه «ينطق بعضه ببعض»

---

١) محمد عبده شرح نهج البلاغة، تحقيق فاتن اللبون، ط١، دار احياء التراث العربي لبنان بدون سنة طبع، القصار من كلماته وحكمه، حكمه ٣١٥ ص٥٦٨.

فلنتجول في عدد من الآيات القرآنية المختارة والقريبة من صلب البحث هذا وهي كالتالي:

١ – قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (محمد/ ٣٣).

فكما يقول معظم المفسرين والمحدثين في المعنى العام لهذه الآية: ان طاعة الرسول ﷺ هي عين (نفس) طاعة الله طرداً وعكساً، اما الطرد: فلأنه متى وجدت احدى الطاعتين وجدت الثانية، واما العكس: فلأن اذا انتفت هذه، انتفت تلك، ويجري هذا الطرد والعكس في الإيمان بالله وبرسوله على حد سواء.

وتأسيساً على هذه القاعدة الفلسفية الاسلامية وطبقاً لمنطق العقل السليم، ومن خلال تتبع سيرة حياة أبي طالب نجد انه كان مطيعاً للرسول ﷺ منذ بدء الدعوة وآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [1]، وهو بهذه الطاعة يصل إلى الإيمان بالله تعالى، وهذا هو دينه الحنفي الصحيح، وهو دين النبي وآبائه، لا كما يدعي الآخرون.

٢ – قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِّ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِّ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [2].

اذا كان هذا هو منطق نبي الله يوسف، فكيف يكون اذن منطق نبينا محمدﷺ وهو خاتم النبيين وافضلهم منزلة عند الله، هذا من جهة، ومن ناحية

---

١) وقفنا عندها في الباب الرابع الفصل الثاني من كتابنا هذا ورأينا موقف أبي طالب منها.

٢)سورة يوسف/ ٣٨

اخرى ان كل الاسماء المذكورة في الآية هذه هي كما بينا في بداية الكتاب هذا هي اسماء لأباء أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله واذا كان هذا هو واقع انبياء بني اسرائيل وهي الحنفية، وان الرسول صلى الله عليه وآله وكما ثبت عند جميع المسلمين قوله صلى الله عليه وآله: «ان علماء أمتي أفضل من أنبياء بني اسرائيل» فهل لأحد ان يشك بإيمان والد نبينا محمد صلى الله عليه وآله عبد الله بعد هذا المنطق، وانه كشقيقه أبي طالب على دين ابيهم عبد المطلب وهو الحنفية المسلمة وهذا هو واقع الحال المفروض، وما على الأمة الاسلامية جمعاء الاّ ان تقول وتتيقن وتسلم به.

٣- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران/ ٣٣).

وكما هو معلوم في تفسير هذه الآية، فان آدم هو أبو البشر الاول ونوح أبو البشر الثاني، لان جميع أهل الارض من نسله، ومنهم آل ابراهيم وأولاده اسماعيل واسحاق وأولادهما ومنهم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وآل عمران، موسى وهارون، ذرية بعضها من بعض معصوم ابن معصوم، لأن الله لا يصطفي الا المعصوم نبياً كان أو اماماً، وهذا هو المراد بـ(آل) هنا من كان نبياً أو اماماً.

وان ابراهيم كان حنيفاً (مائلاً عن كل دين) بنص القرآن الكريم.

﴿**مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْـمُشْرِكِينَ**﴾ (البقرة/ ١٣٥) وهذا هو دين آباء نبينا محمد واجداده وكذلك كان أبو طالب وعبد الله وابوهما عبد المطلب.

وكما هو ثابت عند جميع المسلمين وبتوارد كل الاخبار والاحاديث وهو ان علياً بن أبي طالب لم يسجد لصنم قبل الاسلام ولهذا يقال عندما يذكر اسمه الشريف (كرم الله وجه)، وانما كان يدين بدين آبائه، وكذلك ابوه أبو طالب

يدين بدين ابيه عبد المطلب وكذلك الرسول ﷺ، وهذا هو دين الفطرة والانبياء وهو مثلما مرّ مصداق لقول تعالى: ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة/ ١٣٥).

وهل هنالك أحسن ديناً من دين الحنفية الابراهيمية ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾ (النساء/ ١٢٥).

ولهذا نجد ان ابا طالب كان دائماً ما يقول:

«إني لا استطيع أن افارق دين آبائي، وما كانوا عليه»[1].

لذا لا يمكن لابي طالب بأي حالٍ من الأحوال ان يقف ذلك الموقف المدافع والمحامي عن النبي ورسالته، الا وان يكون مسلماً حنيفاً، لا مشركاً وانه في الدرك الاسفل من النار كما يقول أهل الأهواء والميول البعيدون كل البُعد عن الاسلام قيماً واخلاقاً.

٤- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَـهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ (الاحزاب/ ٥٦).

هذه هي من المسلمات ان العذاب المهين والدرك الاسفل من النار لكل من آذى الله ورسوله، لا لمن اطاع الله ورسوله ودافع عن نبي الاسلام امام عتاة قريش، لا لأبي طالب والد علي صاحب سيف ذو الفقار وابو جعفر صاحب الاجنحة، واذا كان ما قام به أبو طالب مع النبي ﷺ هو إحسان وانه صبر مع النبي ﷺ فإن الله سبحانه وتعالى يقول لهؤلاء ﴿ **وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْـمُحْسِنِينَ**﴾[2].

---

(١)ابن هشام، السيرة النبوية(السابق) ج١ ص٢٣٧ باب ذكر ان علياً بن أبي طالب أول ذكر اسلم.

٢)سورة يوسف/ ٥٦

فأجره محفوظ عند عزيز مقتدر ولما كان أبوطالب صادقاً مع الرسول صلى الله عليه وآله فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المنَافِقِينَ﴾[1]. وكما جاء في الحديث الشريف «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُتمن خان» ومن خلال قراءة سيرة أبي طالب مع النبي صلى الله عليه وآله فإن المتابع لها لم يجد من هذه الخصال، اللهم الا وفاؤه بالعهد، وصدقه بالكلام والموقف، وهكذا كانت صفات نبينا الكريم صلى الله عليه وآله، وانه عاش مع أبي طالب أكثر من (٣٠سنة) وهذه الفترة كافية لان يؤثر في أبي طالب أو ان ابا طالب يتأثر به والمثل الشعبي يقول من عاشر القوم اربعين يوماً صار مثلهم، فكيف باربعين سنة، او اقل بقليل، لاعتبار ان ابا طالب رافق النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة وبعدها، كما ذكرنا.

٥- قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِّ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللهِّ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وهذا هو الخطاب للثابتين على العهد بأن لا تؤثروا منافعكم الخاصة على الحق مهما كان الثمن لان متاع الدنيا قليل والآخرة خير وابقى لان ما عند الله باق لا يزول، وما عندكم من حطام الدنيا هو زائل لا محالة وهكذا صمد وثبت أبو طالب على العهد وادى ما اشترط على نفسه امام ابيه عبد المطلب وعند الله سبحانه، وهذه والله هي درجة الإيمان العالية والا فإنّ الانفراد برئاسة قريش ومكة وغيرها إغراءات لا يمكن لغير المؤمن الثابت على العقيدة ان يضحي بها، فعلامَ إذن يوضع في ضحضاح من نار، ومن اين يأتيه الكفر من أبيه الذي

١) سورة الاحزاب/ ٢٤

٢)سورة النحل/ ٩٥

أوصاه برعاية محمد وكفالته أم من اولاده الذين هو أوصاهم بمحمد والوقوف معه، ولا أحد ينكر وفاء أبي طالب للعهد الذي سوف يسأل عنه المؤمن في يوم القيامة، وما الاعتراف بيوم القيامة الا من الإيمان بالله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ (الإسراء/ ٣٤)، خاصة إذا ما علمنا انه لا عهد للمشرك الكافر بحكم القرآن ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ الله وَعِنْدَ رَسُولِهِ** ﴾ (التوبة / ٧).

وبهذه الصفة أصبح أبو طالب مؤمناً إيماناً حقيقياً بالله ورسوله علماً وان من صفات المؤمنين ايضاً ﴿ **الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ (المؤمنون/ ٨).

فالحياة الطيبة لا النار لمثل ابي طالب، خاصة وان الله يخاطب الذين يوفون بالعهود بأن لهم الأجر العظيم.

﴿ **وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَّ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (الفتح/ ١٠).

فهنيئاً لابي طالب هذه العاقبة والحياة الطيبة جزاءً له ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ (النحل/ ٩٧).

٦- قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهَّ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (التوبة/ ٦٢).

هذا هو جزاء من يؤذي رسول الله ويقف امامه عقبة في تبليغ رسالته السماوية أما مثل أبي طالب ﴿ **وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾[١] (الانفال/ ٧٤).

ولو سلمنا بالامر وقلنا(لا سامح الله)إن ابا طالب كافرٌ فكيف يصحّ هذا

---

(١) سورة الأنفال/ ٧٤.

والقرآن يخاطبنا ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ الله لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1]، خاصة وإنّ نبينا الكريم هو المخاطب بقوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[2]، وما قوله تعالى ببعيد عنه ﴿ قَالُوا يا شعيب مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[3].

نعم هذا هو منطق الكفار والعتاة في كل زمان ومكان يقفون ضد الحق ويعتبرونه باطلاً ولا يهابون الا من القوي، فمثلما خافوا من رهط (ارحام واقارب) شعيب هكذا خافوا من أبي طالب والخلص من أولاده والقصة نفسها كانت مع الرسول الكريم، وهو اليتيم الضعيف فيهم.

٧- قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى﴾ (الضُحى/ ٦).

من ذا الذي تقبل هذه الوديعة، اليتيم وآواه غير عبد المطلب وولده البار أبي طالب في البدء، وثم من هو الذي نصره وحماه وأكرم مقامه وشخصه، وأرضى الله في خدمته وأرضاه، وتحمل من وراء ذلك جفاء الأهل وظلم العشيرة، ومن اجله وهدفه ضحى بالسيادة والزعامة؟! من هو غير شيخ البطحاء وسيد قريش أبي طالب والد الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام ؟

٨- قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْـجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس/ ٢٦).

وهذا المعنى واضح، ان لكل من احسن في هذه الدنيا واصاب في رأي أو

---

(١) سورة النساء/ ١٤١.

(٢) سورة يوسف/ ٣.

(٣) سورة هود/ ٩١.

عقيدة أو في قول وفعل يرضي به الله والانسانية فله المثوبة والحُسنى اجراً وجزاءً وزيادة على ما يستحق، وهذا هو منطق القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[1]، ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ البقرة/ ٢٣٧، و﴿ إِنَّ الْـمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (الزخرف/ ٧٤-٧٥)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْـحَقِّ ﴾ (الشورى/ ٤٢).

هكذا هو وضع المجرمين آيسون من النجاة، ولا كفارة إطلاقاً لمن اعتدى وأساء وزلزل الارض بطغيانه وظلمه وجبروته ﴿أُوْلَئِكَ لَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لا على من ناصر وآوى النبيﷺ وتحمل المشاق من اجل اتمام رسالته، ثم ألم يخجلوا من أنفسهم واضعوا وناقلوا حديث الضحضاح، فالرسول ﷺ وهو الكريم، والله هو الغفور الرحيم، فلو كان أبو طالب مجرماً كل الجرم ويستحق العقوبة، فلماذا لا يكون ابدياً في النار وإذا كان يستحق الشفاعة، فلماذا لا يتمم النبي ﷺ جميله على عمه ويضعه بالجنة مرة واحدة، ما هذا الهُراء والضحك على الذقون والإستهزاء بعقول الناس خاصة وانه ﷺ انما بُعث ليتمم الاخلاق، ومن خلقه التي هي اخلاق القرآن الكريم ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء/ ٨٦) و ﴿منْ جَاءَ بِالْـحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الانعام/ ١٦٠)، إلى غيرها من الآيات التي تبين مدى سماحة الاسلام وعمق اخلاق النبي الكريم ﷺ خاصة وكما جاء في الحديث المشهور «ان جبرائيل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ ليلة موت ابي طالب: (اخرج من مكة، فقد مات ناصرك»)[2].

---

(١)سورة الشورى / ٢٠.

(٢) لنا وقفة مع وفاة أبي طالب في الفصل التالي (الاخير) من كتابنا هذا فراجع.

ما هذه المكانة التي كانت لأبي طالب في السماء، فإذا كان هذا هو ثقله، وإنهم يدركون جيداً منزلة ابنه وانه قسيم النار والجنة، يقول للنار هذا لي، وهذا لك[١].

لهذا فإننا نجد انهم تخبطوا وتحيروا بماذا يصفون أبا طالب، فاختاروا كلمة ضحضاح لعلها تكون اشد وقعاً على أبي طالب من النار نفسها ولكن انى لهم هذا والله سبحانه وتعالى مشفع رسول الله ﷺ بعمه ابي طالب.

فهو ﷺ القائل: «قال لي جبرائيل ان الله مشفعك في ستة، بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب انزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك ابي طالب، وبيت آواك عبد المطلب»[٢].

فهل شفاعة سيد الكائنات ناقصة لا سامح الله، وانه لم يمارس حقّه الطبيعي في عمه ويخرجه نهائياً من النار، لا ان ينقله من مكان إلى آخر أسوأ منه- والعياذ بالله من هذا القول، خاصة وانهم يروون عن الشفاعة احاديث كثيرة نذكر منها على عجل وبأختصار شديد:

١ - ان النبيﷺ قال: «يدخل من أمتي سبعون الفاً بغير حساب»[٣].

وقوله ﷺ: «يدخل من امتي زمرة هم سبعون الفاً»[٤].

---

(١) ابن حجر، الصواعق المحرقة(السابق) الباب التاسع نهاية الفصل الثاني ص١٢٠.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٣ ص٣١٥.

(٣) مسلم في صحيحه (السابق) ص١٠٣كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح رقم ٣٦٧.

(٤) نفسه ح رقم ٣٦٩

٢- وعن ابي حازم قال ﷺ: « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون الفاً، أو سبع مئة الفا ـ لا يدري أبو حازم أيها ـ قال متماسكون، آخذ بعضهم بعضاً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم»[١]، وبلفظ البخاري سبعون الف بغير حساب.

واللافت للنظر ان هذا الحديث الاخير يرويه الشيخان مسلم والبخاري معاً والأغرب من ذلك ان راويها لا يعلم كم هو العدد المهم عندهم ان مثل هذه المنقبة لا تخص ابا طالب، وليس المهم صحة الرواية وضبط العدد!! وكما هو معلوم فإن الحديث الذي يرويه مسلم والبخاري فإن جميع كتب أهل السنة الباقية تنقله، كما ان ابا حازم هذا هو احد رواة حديث الضحضاح ايضاً فتأمل؟

ولا تفوتني الرواية التالية، والتي لها صلة قريبة جداً بالموضوع خاصة وانها تخص ايضاً احد اعمام النبي ﷺ، ولكن وبطبيعة الحال هو غير والد علي بن ابي طالب، فيذكرون ما هو نصه: «لقد رؤى أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟! فقال في النار، إلاّ انه يخفف عني كل ليلة اثنين، وأمصّ من بين أصبعي هاتين ماء، واشار برأس أصبعيه، وإن ذلك بإعتاقي لثوبية (جاريته) عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبارضاعها له»[٢].

اذا كان هذا هو حال ابي لهب والذي نزل بعذابه قرآن، فما بالك بحال أبي طالب الذي لم يفرح فقط بولادة النبي ﷺ وانما تبنى تربيته، ورعايته منذ يتمه، إلى غير ذلك من المواقف المشرفة له مع النبي ﷺ.

---

(١) مسلم ح رقم ٣٧٣ والبخاري(السابق) ص١١٥١ (كتاب الرقاق حديث رقم ٦٤٧٢)

(٢)الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص١٢٤ باب ذكر رضاعته ﷺ.

اما أبو طالب فله الضحضاح من النار وان دماغه يسيل من رأسه في حين ان الزاني والسارق له الجنة بحسب البخاري الصحيح: عن سلسلة من رواته عن رسول الله ﷺ، قول جبريل عليه السلام له: «من مات من أُمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، قلت ﷺ وان زنى، وان سرق، قال: وان زنى وان سرق»[1].

الى غير ذلك من الاحاديث والروايات الكثيرة عن الشفاعة، والتي تتطلب ابحاثاً مستقلة.

فبعد هذه الوقفة، هل لأحد ان يشك في إيمان أبي طالب ومسيرته الناصعة مع ابن اخيه محمد ﷺ منذ يتمه حتى اتمامه الاربعين ونزول الوحي عليه ﷺ؟! فكان بحق من المشمولين بقوله تعالى « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » (الرعد/ ٢٠).

وأنه من (الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) (الرعد/ ٢١).

باعتبار ان غير عمل أبي طالب مشمول باللعنة الآلهية ﴿**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئِكَ لَـهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ (الرعد/ ٢٥)، فالإيمان والدار الاخرة، لا الكفر والضحضاح لابي طالب عليه السلام.

***

(١)البخاري، (السابق) ص١١٤٧ ح رقم ٦٤٤٤ من كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ ما أحب أن لي مثل أُحد ذهباً.

المبحث الخامس

الادلة والشواهد على إيمان ابي طالب

انّ عنوان هذا المبحث بعكس المحور الذي سبقه، فهناك اكثر من دليل على إيمان أبي طالب بالاسلام ورسالة ابن اخيه محمد ﷺ وكونها ادلة، لانها لامست الواقع الذي عاشه الاثنان معاً وانبثقت منه لتصبح شواهداً نابعة من تلك السيرة الخالدة، وهي مسطرة بكتب الفريقين من المسلمين، اذ لا يمكن لكاتب سيرة وتاريخ او باحث في الحقيقة تجاهلها، او عدم الوقوف عندها وتأسيساً على ذلك فيما يلي اشارة إلى عدد من تلك الأدلة والتي هي اقرب منها إلى شواهد تاريخية ناصعة، لا تحتاج إلاّ إلى مُذكر، وهي:

الأول: بين فجر الدعوة وذروتها:

عندما كانت الدعوة الاسلامية سرية جداً وبعيدة عن أعين الناس تنقل لنا كتب السيرة: «إن أبا طالب عثر (وقف) على النبي محمد ﷺ وعلي عليه السلام وهما يصليان، فقال أبو طالب لعلي: أي بُني ما هذا الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ

آمنت بالله وبرسوله، وصدقته بما جاء به وصليت معه لله، واتبعته، فقال له: أما انه لم يَدْعك إلا إلى الخير فالزمه[1].

إذا كان هذا هو نص ابن هشام، فان الحلبي يذكر نقلاً عن أسد الغابة فيقول: «إن ابا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً يصليان، وعلي على يمينه، فقال لجعفر بن ابي طالب: صل جناح ابن عمك، فصلى عن يساره[2].

أو قوله لعلي: يا بُني الزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل[3].

ولو ربطنا بين هذه الوصية وبين ما كان يقوم به أبو طالب من حماية لرسول الله ﷺ خاصة عندما كان يجعل علي عليه السلام ينام على فراشه ﷺ فداءً له ﷺ[4]. وكيف ان علياً عليه السلام التزم بالوصية وبات على فراشه ﷺ ليلة خروجه من مكة، وغير بعيدٍ عن احد ما نزل من القرآن في علي تلك المناسبة، فقد أخرج معظم حفاظ أهل السنة الحديث التالي: «لما أُسري بالنبي ﷺ يريد الغار، بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله ﷺ، فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل: اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فكلاهما اختارها، واحب الحياة، فأوحى الله اليهما،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية(السابق)ج١ ص٢٣٧ باب ذكر ان(علي بن ابي طالب) أول ذكر اسلم.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص٣٨٣ باب ذكر أول الناس إيمانا.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج (السابق) مج٣ ص٣١٨.

(٤) راجع ما كتبناه في الفصل الثاني المبحث الأول من كتابنا هذا وسترى كيف كان أبو طالب يفدي ابنه علي عليه السلام في سبيل نجاة ابن اخيه محمد ﷺ.

افلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين النبي محمد، فبات على فراشه يقيه بنفسه، إهبطا إلى الارض فاحفظاه من عدوه، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل ينادي بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن ابي طالب، الله عز وجل يباهي بك الملائكة فانزل الله تعالى ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ (البقرة/ ٢١٧)، وهنا قال ابن عباس: ان علياً أول من شرى (باع) نفسه ابتغاء مرضاة الله، وقد أنشدني قائلاً:

وقيتُ بنفسي خير من وطئ الحصا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الأله خاف ان يمكروا به ... فنجاه ذو الطول العظيم من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت اراعي منهم ما ينوبني ... وقد صبرتُ نفسي على القتل والاسر[(١)]

ومن هذا يتبين لنا بوضوح ان مبيت الامام علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الهجرة، وما أكتسب من أهمية سماوية، ما هو الا امتداد طبيعي لمبيته مكان النبي صلى الله عليه وآله ايام والده ابي طالب، فكان ذلك المنام عاجلاً ومنام الهجرة آجلاً، وهذا معنى قول أبي طالب الذي ذكرنا آنفاً (فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل) وبهذه السنة الطيبة التي سنها أبو طالب نفند الرأي القائل:

---

(١) كثيرة هي المصادر التي روت هذه الحادثة منها: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني (السابق)ج١ ص٩٦ مستدرك الحاكم على الصحيحين للنيسابوري (السابق) ج٣ ص٥ من كتاب الهجرة، نور الابصار للشبلنجي، ط١ ١٩٨٥ بيروت ص١٥٢، وتذكرة الخواص لابن الجوزي (السابق) ص٤١، وذكر شعر علي ابن شهر آشوب في مناقبه(السابق) ج٢ ص٧٢.

بأن ابا طالب وما كان يقوم به مع النبي ﷺ من حماية ورعاية، انما هو من باب القربى والعاطفة الانسانية باعتبار ان ابن اخيه محمداً كان يتيماً، فلو نزلنا إلى هذا المستوى وقلنا بهذا الرأي، هل يُعقل ان يصل بأبي طالب ولحساب عاطفته ان يُضحي بفلذة كبده علي من اجل ابن اخيه محمد، ان الذي كان يحرك ابا طالب في اتخاذ مثل هكذا مواقف لا شيء سوى الإيمان، والإيمان بالله وحده فقط، وهذا هو قمة الإيمان بالله ورسوله، وهل لأحمق جاهل ان يشك في مثل هكذا إيمان؟! اللهم الا اذا كان معانداً لنفسه ووجدانه وينكر نور القمر في الليلة الظلماء، والاّ لا يوجد مطلب آخر يجبر ابا طالب على مثل هذا الموقف الايجابي.

الثاني: أبو طالب وموقفه من آية الإنذار[1]:

فكما ذكرنا في حينه كيف ان ابا طالب صدّق دعوة النبي ﷺ، والا كان في مقدوره، ان ينكر ذلك كما نكر اخوته أعمام النبي ﷺ الآخرون، خاصة وان محمداً ﷺ هو ربيب ابي طالب، وان دعوته لم تكن نشطه في ذلك الوقت، او لم يسجل لها أي انتشار وبالتالي من السهل اليسير على ابي طالب، ان لم يقتلها في مهدها، ان يترك ابن اخيه في شأنه، ولم يقل له:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا[2]

---

(١) سبق وان وقفنا مع هذا الحدث التأريخي ومناسبته في الفصل الثاني من كتابنا هذا فراجع.

(٢) ابن شهر آشوب المناقب(السابق) ج١ ص٨٩، وكذلك شرح النهج (السابق) ج٣ ص٣١٠.

او قوله: والله لا يوصل اليك بشيء تكرهه ما بقيت[1]. أو أن يترك ابن اخيه لمصيره، لا ان يطلب من ولده نصرته كما مرّ في أول هذا الفصل.

او شعره الذي يطالب فيه من ولديه علي وجعفر نصرة النبي صلى الله عليه وآله:

ان عليــــاً وجعفـــــراً ثقتـــــي		عنــــد ملـــم الزمـــان والنــــوب

لا تخـــــــذلا وانــــــــصرا		ابن عمكما اخي لأمي من بينهم وأبي

والله لا أخـــــــذل النبـــــي ولا		يخذلــــه مـــن بنـــي ذو حـــسب[2]

أو بفرحته الكبيرة بموقف اخيه الحمزة (ابا يعلي) الداعم للنبي وكيف يطلب منه ان يكون سنداً لمحمد صلى الله عليه وآله:

فـصبراً أبــا يعــلي عــلى ديــن أحمــد		وكن مظهــراً للــدين وفقــت صــابراً

وحط من اتى بــالحق مــن عنــد ربــه		بــصدق وعــزم لا تكــن حمــز كــافراً

أوسعادته بإسلام الحمزة فاسمعه يقول:

فقد سرني إذ قلت انك مؤمن		فكـــن لرســـول الله في الله نـــاصراً

ونــــاد قريـــشاً بالـــذي قـــد أتيتـــه		جهاراً وقل ما كان أحمـد سـاحراً[3]

فهل يمكن لشخص غير مؤمن ان يفرح بإيمان آخر، وهل لشخص لا يصلي مثلاً يعلم آخر الصلاة؟!

---

(١) ابن هشام، السيرة (السابق) ج١ ص٢٣٧ باب ذكر ان (علي بن أبي طالب اول ذكر اسلم) وفيه خروج علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شعاب مكة.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج (السابق) مج٣ ص٣١٨.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ج١ ص٩٣، والنهج لابن ابي الحديد (السابق) مج٣ ص٣١٩.

ان هذه المواقف الخالدة لا يمكن ان تتأتى الا من وصي مصلح او شخص ذاب في الإيمان ذوباناً كاملاً، والا هل يوجد مسوغ واحد يجبر ابا طالب على اتخاذ مثل هكذا مواقف؟! اللهم الاّ الإيمان واي إيمان هذا الذي يتحمل صاحبه من اجله المشاق الصعاب ورأينا كيف صبر على اتخاذ مثل هكذا مواقف؟! ورأينا كيف تحدى ابناء قومه عامة وابناء عشيرته خاصة وركب سفينة ابن اخيه ودخل معه في الحصار[١]، وهو الرجل الكبير المُسن، وما تحمل، انه الإيمان الفطري والتصديق بنبوة ابن اخيه محمد ﷺ ليس الا .

الثالث: فراسته بنبوة ابن اخيه قبل البعثة:

لقد تنبأ أبو طالب بان ابن اخيه محمد ﷺ سيكون نبياً وحصل هذا علناً وامام الملأ وذلك عندما تكلم بخطبة خديجة.

إذ قال «ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الاّ رجّح شرفاً، ونبلاً وفضلاً، وعقلاً، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جسيم»[٢].

وتم هذا قبل البعثة النبوية بخمس عشرة سنة، فضلاً عن النبؤات والمعجزات التي حصلت إليه معه ﷺ قبل وبعد البعثة، او حديثه مع زوجته فاطمة بنت اسد عندما جاءت إليه تبشره بمولد النبي ﷺ «فلما ولد رسول الله ﷺ، فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام.

---

(١) مر ذكر هذا الموضوع، الفصل الثاني من كتابنا هذا فراجع.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية (السابق) ج١ص١٩٣، باب تزوجه ﷺ خديجة بنت خويلد وقد ذكرنا الخطبة كاملة في موضوع الزواج المبارك في الفصل الثاني من كتابنا هذا، فراجع.

فجاءت فاطمة بنت اسد إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة، فأعلمته ما قالته آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا؟!

إنك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره»(١).

وفي رواية اخرى «قال أبو طالب لفاطمة بنت اسد: اصبري لي سبتاً، آتيك بمثله الاّ النبوة، قالوا: السبت ثلاثون سنة»(٢).

ففي حديث الخطبة السابق الذكر، الدليل واضح وقوي بإيمان أبي طالب وتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله.

اما في الحديثين الآخرين، فيخبرنا أبو طالب بأخبار عدة: أولها نبوة النبي صلى الله عليه وآله والثاني يخبرنا بولادة الامام علي عليه السلام وثالثها بوقت الولادة، وانه عليه السلام وصي للنبي ووزيره والاحاديث جامعة تدل على شيء واحد لا غير الا وهو الإيمان، انه إيمان والد علي بن أبي طالب عليه السلام.

الرابع: اشعاره الدالة على إيمانه:

لما كان الشعر هو الاعلام الوحيد والناقل الحقيقي لمشاعر الناس في ذلك الوقت، والشعر هو حاضنة التاريخ وهو ديوان العرب، فيسجل لنا هذا الاعلام وفي اكثر من مناسبة تصريحا صريحا من أبي طالب بأنه مسلم ومؤمن إيماناً مطلقاً لا تشوبه شائبة بنبوة ابن اخيه محمد صلى الله عليه وآله الذي رباه وتعهده بالرعاية والحماية التامة، منذ طفولته الأولى وحتى ريعان شبابه، وسنذكر في هذه الوقفة بعضاً من

(١) ابن شهر آشوب المناقب(السابق) ج١ ص٥٨.

(٢) الهامش السابق نفسه.

اشعاره الملبية لهذا الغرض، فضلا عن الذي ذكرناه سابقا، والتي قالها في مناسبات مختلفة، الا ان الهدف من ورائها واحد هو مصارحته بنقاء إيمانه الكامل بالنبي ﷺ ورسالته السماوية الخالدة، فاسمعه يقول:

أ ـ

اذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر	فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أنساب عبد منافها	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوماً فإن محمداً	هو المصطفى من سرها وكريمها[1]

ونجد هنا كيف انه يبين طهارة مولد النبي ﷺ وشرف نسبه وانه من سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل، بل كلهم سادة قادة وهو ترجمان لقول النبي ﷺ «لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى ارحام الطاهرات»، او قوله تعالى ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ (الشعراء/ ٢١٩).

وكانت تلك هي شروط النبوة كما يصرح بها الماوردي في كتاب اعلام النبوة[2].

ب ـ الرسول الكريم ﷺ يستذكر اشعار عمه التي قالها بحياته:

١ – في معركة بدر بين التوحيد والشرك، خرج أبو عبيدة بن الحارث بن المطلب ليبارز المشركين فقطع رجلهُ عتبة بن ربيعة، ويقال شيبة، فانقض عليه حمزة وعلي فقتلاه بسيفيهما، واحتملا صاحبهما ابا عبيدة إلى العريش، حيث مقر رسول الله ﷺ هناك وان مخ ساق ابي عبيدة يسيل لكن ذلك لم يمنعه من فتح

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص٤٣ باب نسبه الشريف ﷺ.

(٢) الهامش السابق نفسه.

عينيه ليقول بصوت مرتعش، مخاطباً الرسول ﷺ ألست شهيداً قال ﷺ بلى، اما والله لو كان أبو طالب حياً لعلم اني احق بها قال:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ... ولما نُظاعن دونه ونُناضل

وننصرهُ حتى نُصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقد ذكر رسول الله ﷺ وهو في ذلك الموقف عمه، ليلهج لسانه بالاستغفار له ولأبي عبيدة معاً[1].

٢- عندما أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك اليه، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فأستسقى فما لبث ان جاء من المطر ما اتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق، فقال رسول الله ﷺ «اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حواليها كالاليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيّاً لقرت عينه من ينشدنا قوله، فقام علي، فقال يا رسول لعلك أردت قوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

قال ﷺ أجل، فأنشده أبياتاً من هذه القصيدة ورسول الله يستغفر لابي طالب على المنبر[2]. وفيما يلي عدد من أبيات هذه القصيدة[3]. التي جاوزت ثمانين بيتاً:

---

(١) ابن ابي الحديد في النهج (السابق) مرتين في ج٣ ص٣٢٠، ص٣٣٨، وثالثة الاشعار فقط في ص٣١٦.

(٢) الهامش السابق ص٣٢٠.

(٣) كانت لنا وقفة مع مناسبة هذه القصيدة في الفصل الثاني من كتابنا هذا المبحث الثاني.

يلوذ بك الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل
ألم تعلموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا نعبا بقول الا باطل
لعمري لقد كلفت وجداً باحمد واحببته حب الحبيب المواصل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يُعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومة تقصر عنه سورة المتطاول
وجدتُ بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذُرا والكواهل
فأيدهُ ربُّ العباد بنصره واظهر ديناً حقه غير باطل[1]

فضلاً عن تصريحه بالدفاع حتى الموت عن النبي وانه ﷺ منصور من قبل الله تعالى وهذا اعتراف بقدرة الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته، فإننا نلمس في الحادثين السابقي الذكر ومن غيرهما ذكر رسول الله ﷺ لعمه والاستغفار له، وان هذا لا ينم الا عن قوة العلاقة الروحية بينهما، وتعبيراً عن مشاعر وصدق الحب الذي يكنّه ﷺ لعمه، وخير ما يترجم هذا الحب هو قوله ﷺ لعقيل بن أبي طالب لما أسلم «يا ابا يزيد إني أحُبك حبين حبّاً لقرابتك مني، وحبّاً لما كنت أعلم لحب عمي إياك!»[2]، فإنها لشهادة صادقة تدلنا على شدة وأوج حب النبي ﷺ لعمه، وهذا يعني ان صورة أبي طالب لم تغب عن شخص الرسول الكريم ﷺ، واللافت للنظر هنا هو ان ابا طالب لو لم يكن مؤمناً حقّاً لما قابله بتلك المشاعر الصادقة، وهو ﷺ المخاطب بقوله تعالى ﴿**لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ**

(١) القصيدة كاملة منشورة في سيرة ابن هشام(السابق) ص٢٦٠-٢٦٦ باب تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص٣٨٢ باب ذكر أول الناس إيماناً.

بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإيمان﴾ (المجادلة/ ٢٢) انه نفي مطلق لايمكن لنقيضين ان يجتمعا في قلب واحد، فلا يمكن لشخص بمنزلة محمدﷺ ان يحب شخصاً كافراً مهما كانت درجة القربى بينهم، هذا من جهة، ولا يمكن لشخص مثل أبي طالب ان يكون كافراً وهو يحب ويدافع عن النبي ذلك الدفاع، حتى وان كان المقابل هو ابن اخيه ومثلما قلنا سابقاً لو لم يكن أبو طالب مؤمناً لما سوغ له ان يضحي بنفسه وولده عن النبي محمد ﷺ، اللهم الا دافعٌ واحدٌ هو دافع الإيمان، والإيمان فقط وهكذا كان إيمان أبي طالب وهو منطق العقل والواقع .

ج – شعره:

ألم تعلمــوا أنـــا وجـــدنا محمـــداً   نبياً كموسى خُط في اول الكتـب[1]

وهو كما ترى ايها القارئ الكريم اعتراف بنبوة محمد ﷺ وانه رسول الله وانه انما وحي يوحى فاسمعه يقول:

نبــي اتــاه الــوحي مــن عنــد ربــه   ومن قال لا يقرع بها سـن نـادم[2]

ولو لم يكن مؤمناً كيف عرف الوحي واعترف به وان من لم يقره، يندم وكيف عرف وتيقن بموسى إذا كان جاهلياً كما يزعمون؟!

---

(١)ابن هشام، السيرة (السابق) ج١ ص٣٢٧ باب شعر أبي طالب في قريش حين تظاهروا على الرسول ﷺ.

(٢)ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٣ ص٣١٧.

د- وشعره:

وان عليـــــه في العبـــــاد محبـــــة	ولا حيـف فـيمن خـصه الله بالحـب
ولا تتبعـوا امـر الوشـاة وتقطعـوا	اواصرنــا بعــد المــودة والقــرب
فلـسنا وبيـت الله نـسلم احمـدا	لغـراء مـن عـض الزمـان ولا كـرب
سـتمنعه منـا يـد هاشـمية	مركبهـا في النـاس خـير مركـب
افيقـوا افيقـوا قبـل ان يحـضر الثـرى	ويصبح من لم يجني ذنباً كـذي ذنـب[1]

هذا هو منطق المؤمن الواثق من إيمانه، والمتحدي بيقين ثابت بوجوب الحب للنبي ﷺ على العباد، وانه على راس عشيرته لا يسلموا النبي ﷺ لاية شدة تواجهه في الزمان، وان ذكره لاسمه ﷺ الصريح (احمد) في الكتب السماوية لدليل راسخ على إيمانه بتلك الكتب، فضلا عن دعوة ابناء قومه للمحبة والالفة، وما هي إلا دعوة ربانية جاءت بها كل كتب السماء، وهذا هو إيمان الاوصياء فضلا عن المسلمين المؤمنين.

هـ - فضلا عن ما عرفناه سابقاً من دعوته لولده علي وجعفر بنصرة النبيﷺ و فرحته الكبيرة بإسلام حمزة (وما علقنا عن هذا الموضوع)[2]. فحتى أبو لهب لم يسلم من دعوة أبي طالب لنصرة النبي محمد ﷺ وهذه قمة الدعوة للإسلام، وهل يمكن لغير المؤمن ان يدعو إلى الإيمان؟! فإسمعه يقول:

---

(١) ابن هشام، السيرة (السابق) ج١ ص٣٢٧باب خبر الصحيفة وشعر أبي طالب في قريش، ابن شهر آشوب المناقب(السابق) ج١ ص٩٥. وكذلك ابن ابي الحديد بشرحه النهج السابق، مج٣، ص٣١٧.

(٢) ذكرنا هذه الاشعار بهذا الخصوص في الدليل الثاني من هذا المبحث نفسه، فراجع.

وان امـــرأً أبـــو عتيبـــة عمـــه — لفـي معـزل مـن ان يـسام المظالمـا

ولا تقبلن الـدهر مـا عـشت خطـة — تـسب بهـا أمـا هبطـت المواسـما

اقـول لـه وايـن منـه نـصيحتي — ابـا عتبـة ثبـت سـوادك قـائماً

وول سـبيل العجـز غـيرك مـنهم — فإنك لم تخلق عـلى العجـز لازمـا[1]

ويخاطبه ثانية:

عجبت لحلم يـا ابـن شيـبة عـازب — واحـلام اقـوام لـديك سـخاف

فـلا تـركبن الـدهر منـه ذمامـة — وانـت امـرؤ مـن خـير عبـد منـاف

ولا تتركنـه مـا حييـت لمعظـم — وكـن رجـلاً ذا نجـدة وعفـاف[2]

أو اشعاره التي تجسد وحدانيتهُ وانه على دين ابن اخيه كقوله:

يـا شـاهد الله عـليّ فإشـهد — اني عـلى ديـن النبـي احمـد[3]

من ضلّ في الدين فـإني مهتـد[4]

أو دعوته قريش للألفة والمحبة بدل القطيعة وانها ليس بدافع الخوف وانما هكذا هو الدين وهكذا علمهم نبيهم، فيقول:

---

(١)ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٣ ص٣١٧.

(٢) الهامش السابق نفسه

(٣) ابن ابي الحديد ، شرح النهج(السابق) مج٣ ص٣١٧.

(٤) نفس الهامش السابق.

ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حرباً عوناً وربما أمر على من ذاقه حلب الحرب

فلسنا ورب البيت نُسلِمُ احمداً لعزَّاءَ من عض الزمان ولا كربِ

ولكننا أهل الحفائظ والنُهى اذا طار أرواح الكماة من الرُعب[1]

والأشعار السابقة الذكر، وكما يذكر ابن ابي الحديد[2]، انها قد جاءت مجيء التواتر، لانه ان لم يكن آحادها متواترة، فمجموعها متواتر يدل على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ بنبوته وإيمانه به.

أقول: وهذا يشبه ما وصلنا من كرم حاتم الطائي وشهرته، وان حساناً بن ثابت هو شاعر الرسول ﷺ الاول، وان بلالاً هو أول مؤذن في الاسلام إلى غير ذلك مما وصلنا، واصبح من المسلمات بها، وانها حقائق ثابتة راسخة لا تقبل النفي أو النقاش فيها، فلماذا لا يكون الأمر كذلك مع أبي طالب وشعره ومسيرته مع النبي ﷺ، وانهما يدلان على الإيمان المطلق، وانه مؤمن إيماناً فريداً من نوعه.

لكن، ومن خلال معرفة سيرة وتصرفات معاوية واتباعه مع علي عليه السلام واتباعه، فلا غرابة في الأمر، لو كان حاتم الطائي مثلاً له صلة من قريب أو بعيد بعلي بن أبي طالب عليه السلام لأصبح بين ليلة وضُحاها من بخلاء العرب كأبي طالب

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (السابق) ج١ ص٣٢٧ باب خبر الصحيفة، وابن شهر اشوب في المناقب (السابق) ج١ ص٩٥.

(٢)ابن ابي الحديد، شرح النهج (السابق) مج٣ ص٣١٩.

من كفار قريش الأوائل، بل وبحسب زعمهم انه في الدرك الاسفل من النار، والى الله المشتكى.

الخامس: الكيل بمكيالين:

لا أدري لماذا يقرون ويثبتون اسلام أي شخص يكون بعيداً عن علي بن ابي طالب؟!

فمثلاً تجدهم يقرون باسلام العباس (وهو ايضاً عم النبي ﷺ ويجدون له الاعذار، وانه كان يكتم اسلامه، فضلاً عن خروجه مع المشركين لمحاربة المسلمين في بدر حتى أُسر في المعركة، واطلق سراحه بعد ان دفع الفدية عن نفسه[1].

ولم ينته الامر عند هذا الحد، بل نجدهم يقولون بإسلام ابي رافع مولى العباس، ولا يقولون بإسلام ابي طالب.

فيذكر الحلبي في سيرته: «عن ابي رافع مولى العباس وزوجته (زوجة العباس ام الفضل) كانا مسلمين، بل كانا يكتمان اسلامهما، وان ابا رافع كان كذلك»[2].

نعم، هكذا هو دينهم وديدنهم، فإن لهم الاستعداد في تثبيت إيمان أي شخص، سوى أبي طالب لانه والدٌ لعلي في حين تراهم عندما يذكرون معاوية

(١) الحلبي، السيرة الحلبية (السابق) ج٢ ص٢٧١ باب ذكر مغازيه.

(٢) الهامش المتقدم نفسه.

وإباه يترضون عليهم، اما لابي طالب فالكفر والنار، ولعلي انه أول صبي[1] اسلم، ولا يقولون رجل، لأن عقولهم وقلوبهم لا تتحمل مثل هذه المنقبة التي خصها به الله سبحانه وتعالى وارادها له من دونهم ويعتبرون على ما يبدو ان ابوة أبي طالب لعلي: انه جرمه الذي اقترفه، لذلك عليه دفع هذه الضريبة وهي: كفره وعدم الاعتراف بدوره في الاسلام.

السادس: زوجته:

مثلما ذكرنا في الفصل الاول من كتابنا هذا ان زوجة أبي طالب الوحيدة، كانت فاطمة بنت اسد وهي كانت ام اولاده جميعاً.

ولو عدنا إلى ما قاله أبو طالب في خطبة الزواج هذا سنجد في كل كلمة قالها انه مؤمن، وانه على دين ابراهيم الخليل مثله مثل ابيه عبد المطلب واخيه عبد الله والد نبينا محمد ﷺ اذ قال في الخطبة «الحمد لله رب العالمين، ورب الوتر العظيم، والمقام الكريم والمشعر والحطيم... إلى قوله الذي اصطفانا اعلاماً وسدنة... اطهار من الخنا والريب والاذى والعيب، اقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب آل ابراهيم وصفوته وزرع اسماعيل إلى آخر الخطبة.

فهل يعقل ان يصدر مثل هكذا قول وتلك الحقيقة الناصعة من رجل غير مؤمن بالله ورسله؟! أكيد ان المنطق لا يوافق مثل هكذا جواب على الاطلاق

---

(١) انهم يتلاعبون بالالفاظ في سبيل محاربة علي عليه السلام فقد افرد ابن هشام مثلاً في سيرته باباً اسماه: علي بن أبي طالب اول ذكر اسلم وذلك في ج١ ص٢٣٥، اي اعطاه صفة المذكر فقط، ولا يقول عنه رجل، لأنه يعتبره في الصفحات اللاحقة من سيرته تلك: انه صبي! فمثل هؤلاء كيف يعترفون بإيمان والده أبي طالب ؟!

وانه رجل مؤمن ويدرك ما يقول.

هذا من ناحية، اما اذا ما سلمنا بالامر الأخر وهو بقاء المؤمنة المسلمة فاطمة بنت اسد على ذمة أبي طالب حتى مماته، ولو كان غير مؤمن لما جوّز لها النبي ولا الاسلام البقاء على هكذا زيجة وحياة مشتركة مع آخر كافر[١].

فيروى عن علي بن الحسين عليه السلام انه سُئل عن هذا فقال «وا عجباً ان الله تعالى نهى رسوله ان يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات إلى الاسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات»[٢].

وكما هو معروف عن النبي صلى الله عليه وآله، انه لا تأخذه في الله وسنته لومة لائم، فكيف يمكن التوفيق بين هذه السنة المحمدية الصحيحة وبين حقيقة اسلام فاطمة بنت اسد، وانها من السابقات في الاسلام؟! ان الفيصل في ذلك هو إيمان ابي طالب، وإلا كيف لمرأة مؤمنة مثل فاطمة بنت اسد ان تنجب ابطالاً مثل علي وجعفر واختهم المؤمنة الصالحة ام هاني[٣]، ويكون رب الاسرة كافراً؟! وكما عرفنا من خلال ما طرح في كتابنا هذا، كيف قال معاوية لعقيل ابن أبي طالب بسؤاله : اين ترى عمك ابا لهب من النار ؟[٤].

فلو كان أبو طالب كافرا لما تاخر معاوية من ذكر ذلك لابنه عقيل، وهذا

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَـهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَـهُنّ.... وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ المتحنه/ ١٠.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) ج٣ ص٣١٦.

(٣) كانت لنا وقفة مع أولاد أبي طالب في الفصل الاول من كتابنا هذا، فراجع.

٤) الحلبي ج١، السيرة الحلبية (السابق) ج ص٣٨٢ باب ذكر اول الناس إيمانا به صلى الله عليه وآله .

دليل قاطع على إيمان ابي طالب، خاصة وان معاوية لم يتهاون للحظة واحدة من تقليل شان علي عليه السلام من خلال كل ما له علاقة بعلي عليه السلام فضلا عن ابيه، وهذا دليل على إيمان والد علي عليه السلام .

السابع: اعلان الشهادة امام زوجته:

(عن شيخ السنة القاضي أبو عمرو عثمان بن احمد في خبر طويل: ان فاطمة بنت اسد رأت النبي صلى الله عليه وآله يأكل تمراً له رائحة تزداد على كل الاطايب من المسك والعنبر من نخلة شماريخ[1] لها، فقالت: ناولني آكل منها، قال صلى الله عليه وآله: لا تصلح الاّ ان تشهدي معي ان لا إله إلا الله واني محمد رسول الله» فشهدت الشهادتين، فناولها فأكلت فازدادت رغبتها وطلبت اخرى لابي طالب، فعاهدها ان لا تعطيه الا بعد الشهادتين، فلما جنّ عليها الليل اشتم أبو طالب نسماً ما اشتم مثله قط، فأظهرت ما معها فالتمسه منها فأبت عليه الا ان يشهد الشهادتين، فلم يملك نفسه ان شهد الشهادتين غير انه سألها ان تكتم عليه لئلا تعيره قريش فعاهدته على ذلك، فأعطته ما معها)[2].

يستدل من هذه الرواية الاعلان عن طرف آخر اقرار أبي طالب للشهادتين لكن وكالعادة لا يحب اظهارها للعلن[3].

---

(١) الشماريخ: جمع الشمراخ وهو غصن دقيق رخص ينبت في اعلى الغصن الغليظ.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب (السابق) ج٢ ص١٩٦.

(٣) سنوضح في الفصل الأخير سبب كتمان أبي طالب لإيمانه، من كتابنا هذا.

الثامن: تضحيات آل أبي طالب من أجل الاسلام:

اذا كان شخص الإمام علي عليه السلام وطيلة حياته انه مشروع استشهادي دفاعاً عن النبي قبل البعثة في كل يوم في الاسلام، وهذا ما تشهد به وتذكره كل كتب التاريخ والسيرة إلى يوم استشهاده في ليلة رمضانية هي الآخرى كان الرسول صلى الله عليه وآله قد وعده بها.

وكذلك اخوه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وعرفنا كيف استشهد في معركة مؤتة عندما كان قائداً للجيش بأمر النبي صلى الله عليه وآله، وكيف كرمه الله سبحانه وتعالى واثابه بدلاً من يديه جناحين يطير فيهما بالجنة وقت ما يشاء[1].

وكيف قتل معاوية[2] الامام الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعد الانحراف الكبير الذي سلكه بنو امية واميرهم يزيد، بتغييرهم كثيراً من سنن الرسول صلى الله عليه وآله، و كيف قام الامام الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام شاهراً سيفه ليقوّم تلك المرحلة ويعيد للإسلام ما جاء به جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فجيش يزيد الجيوش ليقتله شر قتلة ومعه عليه السلام اخوته واهل بيته في معركة كربلاء فضلاً عن سبي حرمه إلى بلاد الشام أُسارى وهم حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، اذ اعتبر يزيد خروج الحسين عليه السلام ذلك خروجاً عن الدين؟!

ويقول عن تضحيات آل أبي طالب في تلك المعركة ابن الجوزي (فالحاصل انهم قتلوا من آل أبي طالب تسعة عشر، سبعة لعلي وهم الحسين

---

(١) ذكرنا ذلك في الفصل الاول المبحث الثاني من كتابنا هذا – فراجع-

(٢)ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٣ ص١٧، وقد ذكرنا طريقة القتل في الفصل الثاني الباب الاول، من كتابنا هذا-

والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان، ومحمد وابو بكر ومن ولد الحسين اثنان علي وعبد الله الرضيع ومن ولد الحسن عليه السلام ثلاثة: أبو بكر والقاسم وعبد الله ومن ولد عبد الله بن جعفر الطيار اثنان عون ومحمد، ومن ولد عقيل بن أبي طالب خمسة: مسلم، جعفر، عبد الله بن مسلم بن عقيل واخوه محمد بن مسلم.

وذكر المدايني: انه قُتل مع الحسين عبد الرحمن بن عقيل وعون بن عقيل، فعلى هذا هم واحد وعشرون: وفيهم يقول سُراقة الباهلي:

يـا عـين ابكـي بعـبرة وعويـل	وانـدبي ان نـدبت آل الرسـول
سـبعة مـنهم لـصلب عـلي	قـد ابيـدوا وسـبعة لعقيـل
لعـن الله حيـث حـلّ زيـاداً	وابنـه والعجـوز ذات بعـول

- يعني بالعجوز (سمية) وكانت من البغايا وقصتها مشهورة، وقيل مرجانة- انتهى نص ابن الجوزي[1].

فهذه الاوسمة والكوكبة من الشهداء كلها تدل على عظمة تربية أبي طالب لأولاده والتي لا تنم الاّ عن إيمان مطلق بالنبي ورسالته الخالدة، وما أجمل قول الإمام علي عليه السلام عن التربية والطهارة معاً عندما يقول ذلك في نهجه:

«ما طاب سقيه، طاب غرسه، وحلّت ثمرته، وما خبث سقيه، خبث غرسه وأُمرت ثمرته»[2]:

و ما أجمل احتجاج الامام علي عليه السلام بابيه في جوابه لمعاوية حيث يقول:

---

(١)سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص(السابق) ص٢٣٠ ذكر من قتل مع الحسين من أهله.

(٢) محمد عبده، شرح نهج البلاغة(السابق) من خطبه له عليه السلام يكر فيها فضائل أهل البيت ص٢٤٢.

«ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق»١، فلو كان أبو طالب غير مؤمن ما جاز للإمام علي عليه السلام وهو المعصوم ان يحتج بابيه، ولو لم يكن كذلك لما سكت معاوية عن رده... وبهذا نجد ان أهل البيت عليهم السلام كانوا يصرون ويقولون بإيمان ابي طالب، وأهل البيت أدرى بما فيه.

التاسع: ما ذكره ابن ابي الحديد في شرحه للنهج(٢):

إذ قال: «ان رجلاً من رجال الشيعة ـ وهو إبان بن ابي مجود ـ كتب إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك اني قد شككت في اسلام ابي طالب، فكتب إليه الامام: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْـهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْـمُؤْمِنِينَ**﴾ الآية، وبعدها قال عليه السلام: إنك ان لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار- ويروي ايضاً مثل هذا الخبر عن الامام الباقر عليه السلام إذ يذكر «انه سئل عما يقوله الناس: ان أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال عليه السلام: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى، لرجح إيمانه، الم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً كان يأمر ان يحج عن عبد الله وإبنه، وابي طالب في حياته، ثم اوصى في وصيته بالحج عنهم».

وفي نهاية هذه الوقفة(٣)، لا بد من ذكر مقولة ابن ابي الحديد المعتزلي والتي جاء فيها «قالت الإمامية وأكثر الزيدية ما مات أبو طالب الاّ مسلما، وقال بعض

(١) ذكرنا مصادر ذلك في ص ١١١ من كتابنا هذا فراجع .

(٢) ابن ابي الحديد (السابق)، شرح النهج، المجلد الثالث ص٣١٥.

(٣) هناك ادلة أخرى على إيمان أبي طالب سنذكرها في الفصل الأخير من كتابنا هذا تتعلق بوفاته.

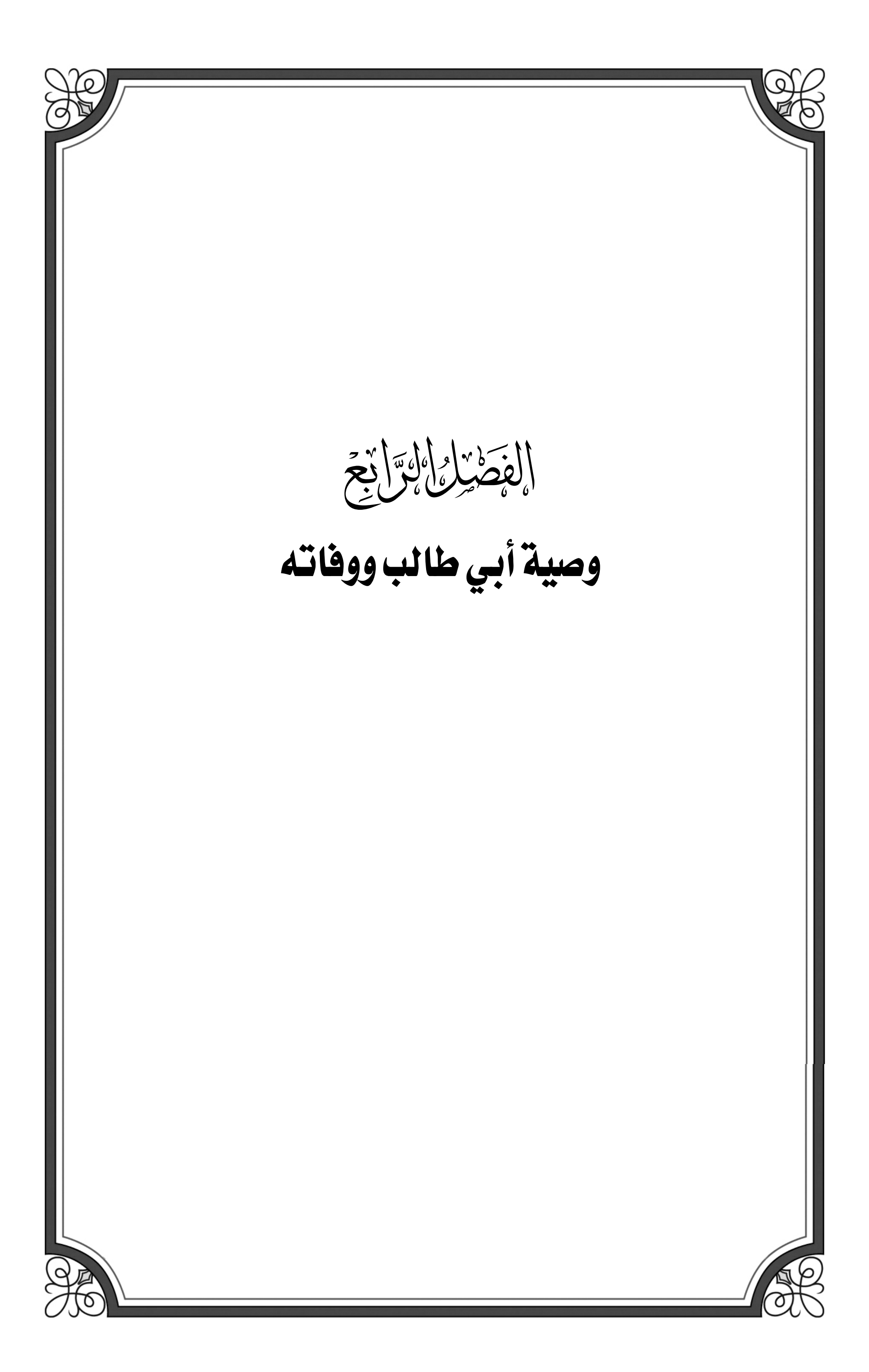
شيوخنا المعتزلة بذلك، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي، وابو جعفر الاسكافي وغيرهما، وقال اكثر الناس من أهل الحديث والعامة ومن شيوخنا مات موحداً»[1]. إذن، لم يشذ عن هذا الجمع ومعهم أولاً جميع أهل البيت عليهم السلام ، الّا النواصب ممن يجيز لنفسه تكفير المسلم الآخر.

بهذه النقطة ننتهي من ذكر أدلة الإيمان، وإلا فإن أقوال أهل البيت عليهم السلام بهذا الخصوص لا تعد ولا تحصى، وأهل البيت أدرى بمن فيه، ولا يتقدمهم دليل آخر أقوى حجة من قولهم.

***

---

(١)ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٣ ص٣١٤.



الفصل الرابع

وصية أبي طالب ووفاته

المبحث الأول
وفاة أبي طالب

وفاتـه:

بعد خروجه مع رسول الله ﷺ من الحصار في الشعب والذي دام اكثر من سنتين منهك القوى، متعب الجسد، وهو الشيخ الكبير صاحب العقود الثمانية، جاء الوقت الذي يرتاح فيه من هم وغم هذه الدنيا البالية.

ويمرض ذلك الشيخ الكبير، وهو على تلك الحالة فيرسل على قريش، فهو لم ينس أو يسهى ابن اخيه الذي شغل وملأ حياته كلها، ويلتف ابناء قريش ورجالاتهم حول عميدهم وسيد مكة، فيخاطبهم قائلاً:

«لم تزالوا بخير ما سمعتم من ابن اخي، وما اتبعتم امره فاتبعوه واعينوهُ»[1].

وقبل ان يودع الدنيا، وهو يلفظ انفاسه الاخيرة طلب منه الرسول الكريم

---

(١) ابن الجوزي، تذكرة الخواص (السابق) ص١٩.

وكما هي السنة عند المسلمين ان يلفظ الشهادتين كي يغمض عينيه وهو مرتاح البال مطمئن القلب، فقال أبو طالب كلاماً خفياً، سمعه العباس بن عبد المطلب، وهو يقول: لا إله الا الله محمد رسول الله، ثم رفع العباس رأسه إلى ابن اخيه محمد صلى الله عليه وآله.

فقال العباس: يا ابن اخي والله لقد قالها عمك، ولكن ضعف صوته عن ان يبلغك صوته وعندها ايضاً قال الإمام علي: «وهو الذي لا يشك مشكك، في اسلامه وصدقه) ما مات أبو طالب حتى اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا»[1].

وبعد ان ادى الشهادتين، وهذا هو والله آخر عهد للمؤمنين، نطق الشهادة قبل الموت، كما هو حال المسلمين الان، حريصون جداً على نطق الشهادة قبل النوم وعند المرض، قبل الوفاة.

وعن علي عليه السلام، قوله: لما توفي أبو طالب أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله فبكى بكاءً شديداً[2]، وهنا اقول: هل يجوز للنبي صلى الله عليه وآله ان يبكي على كافر او على شخص لم ينطق الشهادتين؟ ولم ينته الامر عند هذا الحد، بل قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «إذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه»[3]، فلو لم يكن أبو طالب مسلماً او مؤمناً، هل يجوز لمسلم تغسيل كافر وبأمر من النبي صلى الله عليه وآله نفسه؟!

وكذلك عندما حمل بني هاشم الجثمان الطاهر، عارض (أي شارك)

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج (السابق) مج٣ ص٣١٦.

(٢) ابن الجوزي، تذكرة الخواص (السابق) ص١٩.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية (السابق) ج١ ص٤٩٥ باب ذكر وفاة عمه ابي طالب.

النبيصلى الله عليه وآله الجنازة وقال صلى الله عليه وآله: «وصلت رحمك، وجزاك الله يا عم خيراً»[1].

وعن عمره عندما مات يقول السدي: مات أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة، ودفن بالحجون عند ابيه عبد المطلب[2].

هذا وكان تاريخ وفاته بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب والحصار بثمانٍ وعشرين يوما، أي قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وآله وفي ذلك العام ايضاً وبعد ثلاثة ايام توفيت خديجة (رض) وسُمي ذلك العام عام الحزن كما يذكر ذلك الحلبي في سيرته، والتي صادفت في السادس والعشرين من شهر رجب على احدى الروايات، او في السابع من رمضان على رواية ثانية.

***

(١) ابن الجوزي والسيرة الحلبية الهامش السابق.

(٢) ابن الجوزي، تذكرة الخواص(السابق) ص١٩.

المبحث الثاني

وصية وأصداء وأثر وفاة أبي طالب في حياته ﷺ

وصيته:

بعد أن أفنى حياته بالجهاد مع الرسول الكريم ﷺ والحنو عليه، وفي مرض موته جمع إليه وجهاء قريش فأوصاهم، وكان من وصيته ان قال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً الا احرزتموه، ولا شرفاً الا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به اليكم الوسيلة.

أُوصيكم بتعظيم هذه البنية (أي الكعبة)، فإن فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن في صلة الرحم منسأة (أي فسحة) في الاجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم (هذه والله تعاليم الاسلام وبها جاء النبي ﷺ) اجيبوا الداعي، واعطوا السائل، فإن فيها شرف الحياة والممات، وعليكم يصدق الحديث، واداء الامانة، فان فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام.

واني اوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، وهو الصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان، وانكره اللسان مخافة الشنآن (أي البغض) (أي كان إيمانه بالسر، وهو ما كان عليه أبو طالب) وايم الله كأني انظر إلى صعاليك العرب، وأهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤوساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خرابا، وضعفاؤها أرباباً، واذا اعظمهم عليه، احوجهم إليه وابعدهم منه، احظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش، كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشدا لا يأخذ أحد بهديه الا سعد[1].

سبحان الله ما هذا الإيمان النابض بالشريعة السماوية كلها، فمثلما بدأ أبو طالب حياته مجاهداً في سبيل الاسلام ونبيه ﷺ، ختم كذلك حياته موصياً بالاسلام ونبيه، والا ما هذه الجواهر والحكم واي فم نطق بها، اللهم الا ان يكون ولياً صالحاً ووصياً مؤتمناً ويلزم ان تكون هذه المواصفات بشخص هو نفسه أبي طالب ويكفيه فخراً انه عمٌ وسندٌ لرسول الله دنياً ومماتاً وانه والدٌ لعلي بن ابي طالب، ووصيته هذه لا يكفي فقط الوقوف عندها، أو الاشارة اليها، وإنما تستحق الدراسة والتدريس، واستلهام العبر الإيمانية منها والاقتداء بنهجها حفظاً لتماسك المجتمع الاسلامي وصف صفوفه بدلاً من الفرقة والتناحر بين ابناء الدين الواحد أو المذهب الواحد، لان التمسك بالاسلام كما يصفه هو

(١)الحلبي، السيرة الحلبية، ج١ ص٤٩٦ باب ذكر وفاة عمه أبي طالب وزوجته ﷺ خديجة.

شرف الحياة والمات، وهذا يكفي.

وإذا كان هناك مفجوعٌ بابي طالب بعد الرسول ﷺ فهو ولده الامام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث رثى والده المؤمن قائلاً:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم

ولقاك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم[1]

هذه كلمات سيد البلغاء وابو الأئمة ونفس الرسول ﷺ، الإمام علي عليه السلام.

لو لم يكن عارفاَ بمنزلة ابيه عند الله والسماء، لما نطق بهذا الكلام، ولما كان رسول الله ﷺ يستغفر لابي طالب اياماً يخرج من بيته حزينا عليه[2]، وهذا هو المتوقع من نبي الرحمة، الوفاء بالدعاء والمغفرة لمن كان واقفاً معه في الضراء والسراء، لا النار كما يذهب المعتقدون باطلاً بذلك.

أصداء وأثر وفاة أبي طالب في حياة النبي محمد ﷺ

لقد كان في العام الذي توفي فيه ابي طالب، قد توفيت ايضاً ام المؤمنين خديجة زوجة النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يسمي ذلك العام، عام الحزن ولزم بيته، وأقل الخروج[3].

---

(١) ابن الجوزي، تذكرة الخواص (السابق) ص١٩.

(٢) الهامش السابق.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ج١ ص٤٩٠ باب ذكر وفاة عمه ابي طالب، وزوجته ﷺ خديجة.

فكانت خديجة له ﷺ وزير صدق على الاسلام يشكو اليها، اما عمه أبو طالب فكان له ﷺ عضداً وحرزاً في امره، ومنعة وناصراً على قومه[1].

وفيما يلي نماذج من ذلك الاثر وتلك الاصداء:

اولاً – بعد وفاة أبي طالب وما شاهده العباس عم النبي ﷺ من آثار هم وغم على وجهه بادره متسائلاً يا رسول الله، انك لترجو له، فقال ﷺ «أي والله اني لأرجو له، وجعل رسول الله يستغفر له اياما، لا يخرج من بيته، وقد عارض رسول الله ﷺ جنازة ابي طالب، وقال (رحمك وجزاك الله يا عم خيراً»[2].

ثانيا–«لما هلك (توفي) أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة ابي طالب، حتى اعترضه ﷺ سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ﷺ، فقامت إليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب، وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: «لا تبكي يا بُنية فإن الله مانع اباك، ثم قال ﷺ: ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه حتى مات أبو طالب»[3].

ثالثا– لما رأى ﷺ قريشاً تهجم عليه: قال ﷺ «يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك»[4]

رابعاً – بعد ان عانى الرسول ﷺ الكثير من الاذى بعد غياب عمه أبي

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج١ ص٣٨٠ باب وفاة أبي طالب وخديجة.

(٢) ابن الجوزي، تذكرة الخواص (السابق) ص١٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (السابق) ج١ ص٣٨٠ باب وفاة أبي طالب وخديجة.

(٤) الحلبي، السيرة الحلبية(السابق) ج١ ص٤٩٧ باب ذكر وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة.

طالب توجه صلى الله عليه وآله إلى ربه بالشكوى قائلاً: «اللهم اليك اشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى ما تكلني؟! إلى بعيد يتجهمني (يستقبلني بوجه كريه) ام إلى عدو ملكته امري، ان لم يكن بك عليّ غضب، فلا أُبالي، ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظُلمات، وصلح عليه أمر الدُنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك، او يحل عليّ سخطُك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة الا بك»[1].

خامسا - في الحديث المشهور ان جبرائيل عليه السلام قال للرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاة أبي طالب «أخرج منها (أي مكة) فقد مات ناصرك»[2].

سادسا - وهكذا لبى الرسول نداء ربه فسعى إلى ثقيف يطلب النصرة ويعرض نفسه على قبائل العرب في مواسمهم، لتستمر البعثة وينتشر الدين، فتذكر كتب السيرة، لما مات أبو طالب، نالت قريش من النبي صلى الله عليه وآله ما لم تكن نالته منه في حياته -كما تقدم- خرج إلى الطائف: وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش وقرابته من الهجر والسب والتكذيب خصوصاً من ابي لهب وزوجته ام جميل حمالة الحطب (عمة معاوية) فخرج صلى الله عليه وآله إلى الطائف سنة عشر من النبوة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا، وان يناصروه على الاسلام والقيام معه، وتذكر السيرة ايضاً كيف كان يعرض نفسه صلى الله عليه وآله على القبائل:

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية(السابق) ج١ ص٣٨٤ باب وفاة أبي طالب وخديجة.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) ج٣ ص٣١٦.

قال ابن اسحاق: ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وآله مكة وقومه اشد ما كانوا عليه من خلاف وفراق دينه، الاّ قليل مستضعفون ممن آمن به فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض نفسه في المواسم اذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم انه نبي مرسل ويسألهم ان يُصدقوه، ويمنعوه، حتى يبين لهم الله ما بعثه به، ويقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله اليكم، أمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ...»[1] .

من خلال ما تقدم عرفنا ما هو الاثر الكبير الذي تركه غياب أبي طالب في حياته صلى الله عليه وآله وكذلك رأينا الصدى الطيب في نفسه اتجاه عمه، وهذا ان دلّ على شيء فإنما يدل على قوة العلاقة الروحية والتي اساسها الإيمان بين أبي طالب والنبي صلى الله عليه وآله.

فكل واحد متعلق بالآخر، وكيف لا تكون العلاقة هكذا، وفترة الارتباط بين الاثنين دامت لاكثر من أربعين[2] سنة.

ولهذا اكتسب أبو طالب تلك المنزلة الكبيرة في السماء ومثلها عند ابن اخيه صلى الله عليه وآله خاصة وان علاقة النبي بالسماء علاقة تكامل.

***

---

(١) ابن هشام، السيرة (السابق) ج١ ص٣٨٥ باب عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه على القبائل.

(٢) باعتبار ان ابا طالب كفله صلى الله عليه وآله منذ صغره وحتى مبعثه بعد بلوغه الاربعين سنة وتوفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة النبوية - فتأمل - .

المبحث الثالث

السّر وراء إخفاء أبي طالب لإيمانه

السّر وراء إخفاء أبي طالب لإيمانه:

إن أبا طالب ومن خلال سيرته ومواقفه النبيلة والجهادية مع النبي ﷺ طيلة حياته، فضلاً عن الأدلة التي ذكرناها في كتابنا هذا والتي تصرح بقوة إيمانه ومعتقده، فأبو طالب هو اجل من ان يعتريه مشكك، اويقدح فيه موتور، لكن الحقيقة التي لا بد من ذكرها والوقوف عندها، هو انه كان ناصراً بإيمان نبي الرحمة في دينه الجديد، لكنه في الوقت نفسه كان أبو طالب حريصاً كل الحرص على إخفاء هذا الإيمان، أي ان إيمانه (بالخفاء) وهذا ما يصرح به هو.

فتارةً شعراً:

لــولا الملامة أو حــذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً[1]

وتارةً يقول لزوجته فاطمة بنت اسد عندما اعلن الشهادتين امامها اذ

---

(١)ابن الجوزي، تذكرة الخواص(السابق) ص١٨.

يطلب منها «ان تكتم عليه لئلا تعيره قريش»[1] بحسب قوله، او ما قاله عن النبي ﷺ في وصيته التي سبق ذكرها (وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان، مخافة الشنآن » وهو دليل على كتمانه الإيمان واعلان اسلامه.

ومثلما ورث أبو طالب رياسة قريش بعد وفاة والده عبد المطلب فإنه ورث ايضاً كفالة محمد اليتيم ﷺ عن أبيه كذلك، وكي لا تقل او تضعف هيبته عند القوم من ناحية، وهو المكلف بإيصال النبي ﷺ إلى غايته السامية من ناحية اخرى، خاصة وكما هو معروف فان قبيلة قريش شديدة التعصب في دينها، وانها تلجأ إلى كل خديعة وحيلة (بل عملت على ذلك، مثل مؤامرة الحصار في الشعب[2]، من أجل النيل من محمد ﷺ والحد من دعوته، والوقوف ضد دينه الجديد الذي وحد الربوبية، وهد أصنامهم، فكان على أبي طالب ان يمسك بالعصى من وسطها وكي ينجح في ذلك عمد وكأنه ظاهراً معهم وفي الباطن قلباً وروحاً مع محمد ﷺ ودينه (كما بينا ذلك) وبعمله هذا وفق إلى حد ما، واذهب بريح اللوام والحُساد في ابن أخيه من جهة، وانه حافظ على مكانته ومن كان يتبع امرته من جهة اخرى، والا لو أشهر أبو طالب إيمانه لم يبقَ له دور هام في حياة الرسول والرسالة ولأصبح كأي شخص من كبار قريش ممن اعلن اسلامه، ولم يوفق لمثل ما وفق إليه ابي طالب.

---

(١) ابن شهر آشوب، المناقب(السابق) ج٢ ص١٩٦ «ذكرنا الحديث كاملاً في ادلة الإيمان الباب الرابع الفصل الثالث من كتابنا هذا.

(٢) سبق وان ذكرناها مفصلاً وبينا دور أبي طالب الجهادي في تلك الفترة في الفصل الثاني من كتابنا هذا المبحث الثالث.

وعندها يكون بذلك أبو طالب قد عبّد الطريق امام ابن اخيه في الوصول إلى هدفه السماوي بأقل التضحيات والخسائر، فضلاً عن وقوف ابنه الامام علي واشهار سيفه دفاعاً عن ابن عمه ودينه ومعه اخوته الآخرون مثل جعفر وغيره مما يصّعب اكثر من موقف أبي طالب اتجاه القوم، واي قوم هؤلاء، انهم قوم الجاهلية بكل معناها، فلم تلن عزيمة النبي ﷺ او تضعف شوكته وبالتالي لم تنهار مؤازرة أبي طالب للنبي ﷺ، فكان أبو طالب في ذلك الموقف كما قال الامام المعصوم جعفر الصادق عليه السلام: «ان مثل ابي طالب، مثل اصحاب الكهف، أسّروا الإيمان، وأظهروا الشرك، فاتاهم الله اجرهم مرتين»[1].

نعم، لقد قال أبو طالب للقوم مثلما قال مؤمن آل فرعون، وهذا هو قمة الإيمان، يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك المعنى:

﴿قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[2].

***

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج(السابق) مج٣ ص٣١٦.

(٢) سورة غافر/ ٢٨ .

الخاتمة والنتائج

بعد ان تحدى النبي ﷺ مشاعر قريش وعواطفهم، وثار على آلهتهم ومقدساتهم، وعلى عقولهم وافكارهم، وعلى عاداتهم الموروثة، واسلوب حياتهم، فكان الحمل ثقيلاً والخطب جليلا، لكن شخصيته الفريدة ﷺ وثقته بالله ومن ورائه عمه أبي طالب الذي ضحّى بكل ما يملك، خفف عليه من حمل هذه المسؤولية، وبالتالي كان سنده، وساعده في انتشار دعوته، والوقوف امام هؤلاء العتاة صابراً ﷺ محتسباً متسلحاً بأخلاق القرآن الكريم، لم يشعر ﷺ بخيبة الامل، وضعف الناصر الا بعد وفاة عمه وهذا ما صرح به هو ﷺ عندما قال بعد ان نُكب بخبر وفاته، إذ قال: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب»[١] او خطاب جبرائيل عليه السلام له «أخرج من مكة فقد مات ناصرك»[٢] ولم تتوقف المسيرة، فكان الاسلام الحنيف، هو خاتم الاديان، ورسوله خاتم الرُسل.

---

(١) ابن هشام السيرة (السابق) ج ١، ص ٣٨٠ باب وفاة أبي طالب وخديجة

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج (السابق) مج ٣، ص ٣١٦

رسالةٌ تحثنا على ان الحسنة بعشر امثالها، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، واذا حييتم بتحية فردوها او باحسن منها ومجمل البعثة انه انما بُعث ﷺ ليتمم مكارم الاخلاق وانه مخاطب بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾.

فهذه الاساسيات التي انطلق منها وبُني عليها الاسلام، ومن خلال ابحاثنا في هذا الكتاب والتي كانت تدور حول محور واحد الاّ وهو إيمان ابي طالب، وما مرّ ذكره من أدلة عقلية، او نقلية، او شواهد تاريخية وسيرة حياتية، وبعد عرضنا تلك النقاط على القرآن الكريم والسنة النبوية، توصلنا إلى نتائج عدة يمكن اجمالها بالنقاط التالية:

اولاً : إن أبا طالب كان شريكاً فعلياً لوالده عبد المطلب في كفالة ورعاية النبي محمد ﷺ وانه انفرد لوحده بهذه المهمة بعد وفاة عبد المطلب.

ثانياً : إن أبا طالب لم يكن حامياً ومدافعاً عن شخص الرسول ﷺ فقط وانما كان داعية اسلامية من نوع فريد بهذا الاتجاه.

ثالثاً : لقد تعددت وتنوعت أساليب الحماية والدعوة، فأبو طالب قدم للنبي ﷺ ولرسالته كل ما يستطيع عمله:

فتارة تجده يؤثر ولده علياً ليدفع الخطر عن النبي ﷺ واخرى يطلب من ابنه جعفر واخيه حمزة ان يكونا مع النبي، ويقفان في صف الرسالة والنبوة، وثالثة تجده يتحدى عشيرته وابناء قومه ويقف مع ابن اخيه ﷺ امامهم، وهذا ان دلّ على شيء فإنما يدل على إيمانه المطلق بنبوة محمد ﷺ ورسالته الاسلامية.

رابعاً : مما لا شك فيه، ان ابا طالب كان بدين آبائه وهم آباء النبي صلى الله عليه وآله انفسهم وهو دين الحنفية الابراهيمية، كما بينّا ذلك وبالدليل القاطع.

خامساً: بقدر ما كان أبو طالب حريصاً على التضحية من اجل النبي صلى الله عليه وآله ورسالته كان حريصاً على كتمان إيمانه وعدم الجهر به وهو ايضاً بدافع تقوية موقف النبي صلى الله عليه وآله، وموقفه الشخصي امام قريش، وقد ارتقى بهذه الدرجة لمثل ما وصل إليه الخطاب القرآني **﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾** (غافر/ ٢٨).

سادساً: ان الدوافع التي تقف وراء إستهداف أبي طالب والقائلة بكفره، ادلة كيدية لا ترتكز على أبسط مقومات الدليل العلمية، خاصة إذا ما عرفنا ان ابا طالب لم يكن غاية هؤلاء، وانما هو الوسيلة للنيل من شخص ومكانة الامام علي عليه السلام نفسه في الاسلام، وبالتالي التعرض والنيل من اتباعه في كل عصر ومصر.

سابعاً: ان تضحيات أُسرته في الاسلام كفيلة وحدها بابطال حجة وتعرية الأدلة من المناوئين لابي طالب وبالتالي تقوية موقفه الإيماني امامهم، فضلاً عن علاقته الحميمة والمبنية على اساس الحب في الله والعطف والشفقة الانسانية مع ابن اخيه صلى الله عليه وآله والتي كان امدها اكثر من اربعين سنة، وهي فترة كافية لأن يؤثر احدهما في الآخر.

ولما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله هو صاحب الرسالة السماوية، وهو المعصوم والمسدد من قبل الله سبحانه وتعالى، فلا بد لعمه (الذي تبناه وكفله منذ يتمه، ورعاه في شبابه صلى الله عليه وآله) ان يذوب في تلك الرسالة التي عاش كل ارهاصاتها والتي

هي بالاصل لم تكن غريبة عنه او طارئة عليه لدرجة ان يرفضها او يحارب صاحبها ﷺ مثلما فعل اعمامه الآخرون، فمواقفه وسيرته مع النبي ﷺ كلها تدل على شيء واحد لا غير هو إيمان أبي طالب بالنبي محمد ﷺ ورسالته الاسلامية الخالدة.

ثامناً:اذا كان الشعر هو ديوان العرب وانه الاعلام في كل عصر ومصر، فلا يمكن اغفال شعر أبي طالب بحق النبي ﷺ ورسالته السماوية، فهو بحق اكبر دليل تاريخي ملموس ومتواتر على إيمانه، وانه لا يمكن لغير المؤمن ان يقوله .

تاسعا: ان وصيته عند موته كفيلة وحدها باثبات إيمانه، فضلا عن الادلة الاخرى، وانها لجديرة بالبحث والدراسة والتامل .

عاشرا : اذا كانت هنالك مُسلمات لابد من ذكرها: هو ان النبي محمدﷺ خاتم الانبياء والرُسل، وهذه حقيقة ساطعة لا تقبل الشك و الجدال، واذا كان الواقع كذلك، فهل من العقل والمنطق ان يتكفل يتمه ﷺ، ويرعى شبابه ويحوطه، ويضحي بكل شيء ويدعم رسالته الخالدة تلك، رجلٌ كافرٌ، كما يعتقد ذلك بعض من يدعي الاسلام؟!

كما لا يمكن لشخص بمنزلة محمد ﷺ وهو النبي المرسل ان يحب شخصا كافرا مهما كانت درجة القربى بينهم من جهة، ولا يمكن من ناحية اخرى لشخص مثل أبو طالب ان يكون كافرا، وهو يحب ويدافع عن النبي، ذلك الدفاع المستميت ؟

اللهم إلا دافعاً واحداً هو دافع الإيمان، والإيمان فقط، وهكذا كان إيمان أبو طالب وهو منطق العقل والواقع.

كما توصلنا ومن خلال ابحاثنا في هذا الكتاب إلى حقيقة الرأي القائل: «لقد قالت الإمامية الاثنا عشرية، وأكثر الزيدية، ما مات أبو طالب الاّ مسلماً، وقال ايضاً بذلك بعض شيوخ المعتزلة كالشيخ أبو القاسم البلخي، والشيخ أبو جعفر الاسكافي، وغيرهما، فضلاً عن قول اكثر الناس من أهل الحديث والعامة بمثل هذا القول».

لذلك لا يمكن لعاقل ان يقول بعد كل هذه الحقائق بكفر ابي طالب، وحتى أولئك الذين يقولون بكفره لو تجردوا للحظة واحدة عن كرههم وبغضهم لعلي بن ابي طالب، وعادوا إلى نفوسهم (مجردة من كل هذا وذاك) وعقولهم (صافية) فانهم ودون ادنى شك سيسلمون بإيمان هذالسيّد الهاشمي حقاً وحقيقة.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وافضل الصلاة واتم السلام على نبينا المبعوث رحمة للعالمين. وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الاخيار المنتجبين.

عبد الحسين الخزاعي
النجف الاشرف / تموز ٢٠١٣

***

المراجع والمصادر

ـ القرآن الكريم.

١- أبو طالب (مؤمن قريش)- عبد الله علي الخنيزي- النجف/ الطبعة الخامسة/ ١٩٩٧م.

٢- البداية والنهاية- ابن كثير الدمشقي- تحقيق هيئة بإشراف الناشر مكتبة المعارف/ بيروت.

٣- احياء علوم الدين- أبو حامد الغزالي- دار الجيل بيروت ط١/ ١٩٩٢م.

٤- اسباب النزول- الواحدي النيسابوري.

٥- امام وخليفة- عبد الحسين الخزاعي- الطبعة الاولى، لندن/ ٢٠٠٠م.

٦- الجامع الصغير- جلال الدين السيوطي دار الفكر بيروت. بدون سنة طبع

٧- خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب- احمد بن شعيب النسائي- مكتبة التربية للطباعة، بيروت/ ١٩٨٧م.

٨- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل –بيروت/ ١٩٨٨.

٩- تاريخ الخلفاء (الإمامة والسياسة)- ابن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ)، دار الاضواء-بيروت الطبعة الاولى/ ١٩٩٠م.

١٠-تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) محمد بن جرير الطبري- تحقيق محمد أبو

الفضل ابراهيم- طبعة دار التراث- بيروت.

١١-ترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر- تحقيق محمد باقر المحمودي مؤسسة المحمودي – بيروت- الطبعة الثانية/ ١٩٨٠م.

١٢-تذكرة الخواص- العلامة سبط بن الجوزي- الناشر- الشريف الرضي- ايران/ ١٤١٨هـ.

١٣-تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ابي جعفر محمد بن جرير الطبري دار المعرفة- بيروت- الطبعة الثالثة/ ١٩٨٣م.

١٤-تفسير القرآن العظيم- ابن كثير الدمشقي- دار الندى للطباعة- الطبعة الاولى/ ١٩٨٨م.

١٥-تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) – ابي عبد الله محمد بن احمد القرطبي.

١٦- تفسير الدر المنثور- جلال الدين السيوطي- دار الكتب العلمية الطبعة الاولى/ ١٩٩٠.

١٧-التفسير المبين محمد جواد مغنية- مؤسسة دار الكتاب الاسلامي- الطبعة الرابعة/ ٢٠٠٥م.

١٨-ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ- جمعه وشرحه د. محمد التونجي دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الرابعة/ ٢٠٠٢م.

١٩-ذخائر العقبى- الحافظ محي الدين أحمد بن عبد الله الطبري- مؤسسة الوفاء- بيروت/ ١٩٩١م.

٢٠-سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد (٢٠٧-٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي-

طبعة دار الحديث/ القاهرة.

٢١-سنن ابي داود- ابي سليمان بن الاشعث السجستاني- دار الريان للتراث، الناشر دار الحديث/ القاهرة- طبعة/ ١٩٨٨م.

٢٢-سنن الترمذي- وهو الجامع الصغير- محمد بن عيسى- تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعه دار الحديث/ القاهرة.

٢٣-سنن الدار قطني- علي بن عمر الدار قطني(٣٠٦-٣٨٥هـ)- عالم الكتب، بيروت- الطبعة الرابعة/ ١٩٨٦م.

٢٤-السيرة الحلبية- ابي الفرج نور الدين علي بن ابراهيم بن احمد الحلبي الشافعي المتوفى سنة ١٠٤٤هـ تحقيق عبد الله محمد الخليلي- دار الكتب العلمية بيروت- الطبعة الثانية/ ٢٠٠٦م.

٢٥-السيرة النبوية- سيرة ابن هشام- تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الايبياري، عبد الحفيظ شلبي- دار المعرفة بيروت، الطبعة الخامسة/ ٢٠٠٦م.

٢٦-شرح نهج البلاغة- ابن ابي الحديد- دار احياء التراث العربي- بيروت/ ١٩٨٩م.

٢٧-شواهد التنزيل- الحاكم الحسكاني النيسابوري- تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمى، بيروت- الطبعة الأولى/ ١٩٧٤م.

٢٨-شعر أبي طالب (دراسة ادبية) دكتور هناء عباس عليوي كشكول، منشورات العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الاولى ٢٠٠٨.

٢٩-شيخ المضيرة أبو هريرة- محمود أبو ريه- مؤسسة الأعلمي، بيروت/ ١٩٩٣م.

٣٠-شرح نهج البلاغة، محمد عبده، تحقيق فاتن محمد خليل اللبون، ط١، طبع مؤسسة التاريخ العربي للطباعة، بيروت، بدون سنة طبع .

٣١-صحيح البخاري- محمد بن اسماعيل البخاري- دار صادر- بيروت، بدون سنة طبع .

٣٢-صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج القشري- دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، بيروت/ ٢٠٠١م.

٣٣-الصواعق المحرقة- أحمد بن حجر الهيثمي- تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية/ مكتبة القاهرة/ ١٩٦٥م.

٣٤-عبقرية الامام علي (رضي الله عنه) عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون سنة طبع .

٣٥-الطبقات الكبرى، محمد بن سعد- تحقيق محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، بيروت/ ١٩٩٠م.

٣٦-العقد الفريد- ابن عبد ربه الاندلسي- تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الاندلس، بيروت/ ١٩٨٨م.

٣٧-فتح البيان في مقاصد القرآن (تفسير سلفي اثري)- العلامة أبو الطيب صديق القنوجي البخاري (١٢٤٨-١٢٠٧هـ)، تحقيق عبد الله بن ابراهيم الانصاري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت/ ١٩٩٢م.

٣٨-فتح القدير-محمد بن علي الشوكاني- المتوفى سنة ١٢٥٠هـ طبعة دار احياء التراث العربي/ بيروت.

٣٩-الفصول المهمة - العلامة علي بن محمد بن احمد المالكي المكي الشهير ابن الصباغ المتوفى سنة ٨٥٥هـ- دار الأضواء- الطبعة الثانية- بيروت/ ١٩٨٨م.

٤٠-فرائد السمطين- ابراهيم بن محمد الحمويني (٦٤٤-٧٣٠هـ) تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي.

٤١-القصائد السبع العلويات، عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي (صاحب شرح النهج) الدار العالمية، بيروت/ ١٩٩٤م.

٤٢-كنز العمال- علاء الدين المتقي الهندي المتوفي سنة ٩٧٥هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت/ ١٩٨٩م.

٤٣-كفاية الطالب في مناقب علي ابن ابي طالب- الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي- تحقيق محمد هادي الأمين- دار احياء تراث أهل البيت الطبعة الثالثة/ ايران/ ١٤٠٤هـ.

٤٤-الكميت الأسدي (شاعر أهل البيت)- تأليف: حميد رحيم سلمان الخزاعي، النجف الاشرف- الطبعة الاولى/ ٢٠٠٦.

٤٥-الكشاف- جار الله الزمخشري- دار عالم المعرفة.

٤٦-الكامل في التاريخ- ابن الاثير- طبعة دار الفكر - بيروت.

٤٧-لسان العرب- ابن منظور- دار الكتب العلمية- تحقيق عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل ابراهيم- دار الكتب العلمية الطبعة الاولى- بيروت/ ٢٠٠٥م.

٤٨-لمحات من الصراع السياسي في الاسلام، العصر الاموي، الدكتور السيد محمد بحر العلوم، الطبعة الاولى، زيد للنشر ، بغداد ٢٠٠٧ .

٤٩-المستدرك على الصحيحين- الحاكم النيسابوري- تحقيق مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- الطبعة الثانية- بيروت/ ٢٠٠٢م.

٥٠-المراجعات- العلامة عبد الحسين شرف الدين- تحقيق الشيخ حسين الراضي منشورات المجمع العالمي لاهل البيت/ ايران.

٥١-مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب، العلامة الشيخ جعفر النقدي- تحقيق د.محمد هادي الأمين.

٥٢-ميزان الأعتدال- الذهبي- تحقيق علي محمد الباوي- دار احياء الكتب العربية.

٥٣-مناقب آل ابي طالب: تأليف زين الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السّروى المازندراني- تحقيق د.يوسف البقاعي- الطبعة الثانية، بدون سنة طبع .

٥٤-منية الطالب في حياة أبي طالب – العلامة الشهيد السيد حسن السيد علي القبانجي النجفي – تحقيق مؤسسة احياء التراث الشيعي، النجف الاشرف/ ١٤٢٨هـ.

٥٥-نور الابصار- الشبلنجي- الدار العالمية- الطبعة الأولى- بيروت/ ١٩٨٥م.

٥٦-نهج البلاغة-تعليق وفهرسة الدكتور صبحي الصالحي، تحقيق فارس تبريزيان ط٢ ايران ١٩٨٦.

٥٧-وقعة صفين- نصر بن مزاحم- المطبعة العباسية- بيروت/ ١٩٢١م.

٥٨-ينابيع المودة- القندوزي الحنفي- منشورات مؤسسة الأعلمي- بيروت، بدون سنة طبع.

***

المحتويات

الفصل الأول
ترجمة أبي طالب عليه السلام

الفصل الثاني
كفالة أبي طالب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

الفصل الثالث
أبو طالب عليه السلام في الميزان

الفصل الرابع
وصية أبي طالب ووفاته

***